

عربية حيث تكلمت بها العرب وحولتها من اهلها وأخضعتها لنفوذ حكمها الا ترى أنها لا تدفع على لفظه الذي كان عليه عند المجم ال اذا كانت حروفه في الخارج والصفات كحروف العرب .

وذلك مثل ثور وصابون فإنه انفتحت فيهما اللغة العربية واللغة المجمعية وعند ذلك يكون منسوبا إلى العرب لا إلى المجم اما اذا لم تكون حروفه كحروف العرب او كان يضمها كذلك دون بعض فلابد لها ان تردها الى حروفها ولا تقبلها على مطابقة حروف المجم - ومن اوزان الكلم ما تتركه على حاله في كلام العجم ، ومنها ما تصرف فيه كما تصرف في كلامها وإذا نظرت ذلك صارت تلك الكلم مضمومة الى كلامها كاللفاظ المرجعة والاوزان المبتداة بها .

وما يضم سعة اللغة العربية كثرة الترادفات وهو ما يعين الكاتب المولع بالidious على شجمه وجناسه وفواصله ، والشامر المرتبط بميزاته وقائمه موازنته فوجود الترادفات في اللغة العربية يتافق مع طبيعتها في السحر والإبداع .

وهاهي كتب نقه اللغة تكفلت بضبط مسميات الانفاظ ومواضع استعمالها وما بين معانيها من الفروق وان قلت ودققت فاذا احکم الكتاب او الشامر استعمالها كان مصرا للمقاصد والمطالب بكل دقة وبكل وضوح .

واما الامثل الخامس وهو نصاحة اللفظ وبلافة التركيب فقد بلغت في العربية المقام الامثل وقد تجمعت هذه الصفات في مصر ، وانحصرت في قريش ، وتلخصت في النبي الماشمي صلى الله عليه وسلم كما روى عنه انه قال : « انا انصبح من نطق بالفصاد ييد اني من قريش ونشأت في بنى سعد » . ومن بلافتة صلى الله عليه وسلم انه تكلم بما لم يسمع من العرب قبله كقوله « مات حتف ائفه » - « وحمي الوطيس » - « ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » - الى غير ذلك مما سجله الجاحظ في كتاب « البيان والتبين » .

نهذه هي اصول حياة اللغة وبنائها ولا شك في توفر لغة الامراب والبيان على هذه المناسير وانما لم تزل كما كانت لغة العلم والثقافة ، لا تتأخر من مسايرة ركب الحضارة بشرط ان يعمل اهلها على

والعرض والشعر كل ذلك له أسمان لفوي وصنامي» وقد أصبح كل هذا بحكم القراءان من الانفاظ المستحدثة في العربية بالإضافة الى ما كان جاريا عندهم ودارجا بينهم ويرجع الفضل الى القراءان الكريم في ارشاد اهلها الى المعايير بما حازته من اسباب القوة ، والرقى ، والعيوبة ، قال تعالى : « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » ، « انا انزلناه فيرانا عربينا لعلكم تعقلون » ، « وكذلك انزلناه حكما عربينا » ، بل هو اعظم ضمان لصيانتها من الفساد وحمايتها من الفساد فهو ديوانها الجامع ودستورها المانع ، ولذلك نعتقد ان الحق والصواب يع من حث ويبحث على حفظ القراءان الكريم سونا لآدابها وموانا عليها لطلابها وقد فيما قالوا القراءان قاموس من لا قاموس له وسند من لا سند له .

ومن هنا كان لقمة الدولة العربية الإسلامية التي ركزت حياتها على كتاب الله عز وجل الرحمن كغير في سقل اللغة واستثمارها والتوصيف في دلالتها وأسائلها لاسيما اذا كثرت الحاجات والمحسوسيات وتجددت الوسائل والادوات فان ذلك يساعد على ترقيتها وتوسيع كلماتها ، وما زال الكتاب المصريون يطالعوننا كل حين باسلوب جديد وابتكار فريد وذلك ما يشهد على قدرة اللغة ومرورها وأستعدادها .

واما الرابع وهو وفرة المادة فهو شيء لا تلام عليه اللغة العربية بل وربما شكا اهلها من كثرة مفرداتها ومساوية الاحاطة بها وهذه معاجمها تهدبك الى الحق في هذا الباب فالسان العرب لابن منظور الافريقي ينطوي وحده على ما يقارب سبعين الف مادة واذا اعتبرت ان كل مادة يدخلها الاستنراق وما يتفرع عليه ادرك ان جملة مفردات اللغة لا تكاد تدخل تحت الاحصاء وبذلك استطاعت لغة العرب ان تقوم بنفسها وتستقل عن غيرها مما حصل لها عليه كثير من اللغات النahuضة - ولا يuar في وجود الدخيل من اللغات الامجمبية فان ذلك لا ينقصها شيئا من استقلالها لأن مقومات اللغة الكونية لجهازها تامة وقائمة - ولأن اللغات يأخذ بعضها من بعض كما يأخذ الانسان من الانسان وهذا شأن الكائنات يرتفق بعضها ببعض ، الا ان نسبة الاخذ قد ترتفع وقد تنخفض - ولأن الكلمات الدخلية اقلية ولا انتشار للاقليات مع الاكثرية - ولأن هذه الانفاظ أصبحت

نموذج جديد تطورت العربية فيه فكانت خلية ان تكون معرفة من دين جديد هو في الحقيقة حضارة جديدة ومن الطبيعي ان تتطلب هذه الحضارة الطريقة مادة لغوية جديدة تسمى اللغة الإسلامية او الالفاظ الإسلامية - ومن اجل ذلك وجد الباحثون انفسهم في حاجة الى وضع مؤلفات تشرح هذه اللغة الجديدة فكانت هي الكتب التي تحمل عنوان مجاز القراءان ، او غريب القراءان ، او مشكل القراءان ، او تشبيهات القراءان ، او معاني القراءان ، فمثلا الفاظ الصلاة والزكاة والصوم والجهاد والفرض والسنة والصدقة والنافلة والحديث وغير ذلك مما يدخل في نطاق اللغة الجديدة - دلت على مuman جديدة في هذه الفترة التاريخية من تاريخ اللغة العربية .

ولغة القراءان والحديث طبعت اللغة العربية بطبع واضح مبين هو التزامها الامر الذي لم يكن شائعا ولا مستعولا على نحو ما التزمته نصوص القراءان ومعنى ذلك ان العربية في لهجاتها المتعددة لم تكون تقييد بخصوص الامر ولكن لغة التنزيل هي التي جعلت الامر سمة لازمة للغة العربية التي أربد لها ان تكون كذلك - وعلى هذا فلم يخل مصر من عصور التاريخ اللغوی من ازدواجية في اللغة - لغة نصيحة يتواхما الكاتب في كتابته ، ولغة هامية تستعمل في التخاطب والتفاهم ، وربما تعدد الامر فيها مسألة الامر الى الالفاظ نفسها حيث تكون بعيدة عن الالفاظ الصحيحة - وعذر العرب انهم كانوا يتأخرون اقفالا في اطراف الجزيرة العربية فاعداهم ذلك وغير لسانهم وحرف كلامهم - واعتبارا لذلك يمكن ان تكون صيغ الجموع وغيرها راجعة الى اختلاف الم{jahat} الخامسة اذا كانت قرية من اللغة الاصلية .

وعلی اي حال فاللهجات الجديدة ، والاستعمالات الجديدة التي لا يعترف بها علماء العربية ما هي الا نتيجة للتطور الطبيعي في اللغة واستمرار لعيتها من حيث انها فرضت نفسها فرضيا وجمعت حولها جموعا من الناس .

ومن الاستعمالات الجديدة ما روی ان احد الظرفاء جاء الى ابن تمام الشاعر المشهور وسأله ان يعطيه قارورة من ماء الملام حيث انكروا عليه قوله :

لا تستنقى ماء الملام فلاني
صب قد استمدبت ماء بكالى

ضماء وجودها في حياتهم ، ونفوذها في عالمهم ، وكم يلد لي ان لا اورد قصة طريفة اوردها ابن الاتير في مثل السائر قال : « وحضر هندي في بعض الايام رجل من اليهود وكانت في الديار المصرية ، وكان لليهود في هذا الرجل اعتقاد لمكان علمه في دينهم وفي غيره وكان كذلك فجرى ذكر اللغات وان اللغة العربية هي سيدة اللغات وانها اشرفهن مكانا واحسنهن وضعا فقال ذلك الرجل : « كيف لا تكون كذلك وقد جاءت اخرا فثبتت القبيح من اللغات قبلها واخذت الحسن ثم ان واصمها تصرف في جميع اللغات السابقة فاختصر ما اختصر وخفف ما خفف فمن ذلك اسم الجمل فانه هندنا في اللسان العبراني - كوميل - مما لا على وزن فورييل فجاءه واضع فصار خفيفا حسنا وكذلك فعل في كذا وكذا » .

الا ان نفسى حدثتني ان هذا الكلام اسماء الى العربية اكثر مما احسن اليها لان اليهود لا يمكنهم ان يتجردوا عن سموهم واحتقادهم في كل ما يمت الى الاسلام وال المسلمين بصلة وقد اكد الله لنا ذلك في كتابه العظيم « لتجدرن اشد الناس مداوة للدين امنوا اليهود والذين اشركوا » وهذه الاسماء تتجلى في ثلاثة مواضيع - الاول قوله : « كيف لا تكون كذلك وقد جاءت اخرا » والثانى قوله : « تم ان واصمها تصرف في جميع اللغات السابقة » والثالث قوله : « فمن ذلك اسم الجمل فانه هندنا في اللسان العبراني - كوميل - الغ ووجه ذلك انه يشير الى انها تولدت عن غيرها وانها ماخوذة من اللغات العربية على الخصوص مع ان اللغة العربية هذه المحقدين هي شقيقة اللغات السامية وليست متولدة من شيء منها لا كما يزعم بعضهم أنها بنت اللغة العربية والبيئة على انها اصل بنفسها - انها اقرب اللغات السامية شبها باصلها حسبما ابنته الباحثون في نشأة اللغة الاولى وما تفرع منها من لغات - وانها كانت في نواحي منزلة عن بقية اللغات السامية وبذلك يسر اصالها بها بصلة الاشتراق والتغريب .

فاللغة العربية هي هي من شهادة اليهود - اذ هي اوضح وسيلة للتمييز عن الافراض واقتدار على تصوير العقائق وتحليل الفوamp؛ ، وواسع من ان تفيق من موضوع او محسوس - وهي لغة التنزيل الذي يعتبر حدثا مظليما في تاريخ اللغة العربية لانه

فِي تَابِعِهِ هُوَ التَّشْبِيهُ الْقَاتِلُ فِي قُولِ امْرِيِّهِ الْقَبِيسِ
أَيْقَنْتِي وَالْمُشْرِفِي مُضَاجِعِي
وَمُسْتَوْنَةُ لَرْقٍ كَانِيَابُ الْمُوَالِ

هل المشبه به معلوم أو مجهول – وهذا الكتاب يفسر ما في الآيات الكريمة من مواد غريبة ، ويبيّن وجوه نظم القراءان التي يوجد مثلها في «كلام العرب» ويتضمن كثيراً من مسائل البلاغة كالتشبيه والاستعارة والكتابية ، والتقديم والتأخير والإيجاز والالتفات ، وربته صاحبه على حسب ترتيب سور القراءان وما ياته ليسهل تناوله ويعم نفعه ان شاء الله – وكتاب «غريب القرآن» او «مشكل القرآن» لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة 213 هـ وربه كثريبي ابن عبيدة ، واعتمد فيه على كتاب ابن عبيدة وعلى غيره من سلوك هذا السلك والمراد انه اخذ من ذلك اخذ الناقد البصیر الذي يعرف ما يأخذ وما يذر ولذلك تراه مرة ينقد نقداً لاذعاً واخري تقداً هادئاً – وكتاب «التخييص البيان» في معجازات القرآن ، لابي الحسن محمد بن ابي الحسن المعروف بالشريف الرضا ، المتوفى سنة 406 هـ بين فيه ما في القرآن من استعمالات مجازية ونهج منهج ابن عبيدة في الوضع والتقرير – وكتاب ابن القاسم عبد الله بن نافع البغدادي المتوفى 485 هـ الذي حلق في اجياده الفضاء ، وأشفي على التشبيهات القراءانية انواراً جديدة وتقدم معلومات وافتادات طريقة نحقق له أن يكون مرجحاً في الدراسات القراءانية والبحوث البلاغية والاسرار اللغوية – وكتاب «الإيجاز في انواع المجاز» لابي محمد سلطان العلامة هر الدين بن هبة السلام الشافعي المتوفى سنة 660 هـ بداء ببعض معلومات قيمة من المجاز والبلاغة وربته على سور القراءان الكريم وختمه بطرائف وفرايد .

قال له أبو تمام لا اعطيك ما سالت حتى تأيني بريشة من جناح الليل وهو يشير في جوابه اللطيف إلى قوله تعالى في الوصيّة بالوالدين : « وَاخْفَضْ لِهِما جنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ » وهو يريد أن يقول إن الاستعمالات المجاز في العربية الوانا من الإبداع والإبتكار فكما أن لغة التنزيل ابتكرت المجازات الدقيقة الطيبة ، فصارت من نفس نفاس العربية ، كذلك يكون من حق الشامر البدع أن يتذكر في استعمال المجاز .

ولا ننسى أن المجاز قام بدور كبير في تطور اللغة وفي مسألة الدلالة ، والمجاز واقع في كل زمان وقائم بكل لسان ، والكلمة خاصة للتغير بحكم الطبيعة، وبحكم الشريعة .

وبعد فقد علمتنا – أن انتشار الإسلام كان من أقوى العوامل في انتشار اللغة العربية إذ هي لسانه وأدائه – ومن هذه الناس انهم يتشارعون إلى تعلم لغة الفالب لكي يفسّرها لأنفسهم تقبلاً من الدولة الفالية فيستسمون المراكز ، ويترسمون المناسب وذلك شأن المخلوب مع الفالب ثلاثة الفائح تنتصر هندياً ينتصر وتستقر هندياً يستقر وأمان على ذلك هنا ما في تعاليم الإسلام من التسامح واقامة ميزان الحق والعدل ، فاقبل الناس على الإسلام وعلى لغته وسار الإسلام وساروا اللغة معه قدماً بقدم – وقد اثر القراءان الكريم تأثيراً عظيماً في اللغة والبلاغة، وكان يأهلاً قويًا على تدوين أصولها وقواعدها ، وسائل علومها .

ومن الكتب التي عنيت بدراسة لغة القراءان وأساليبه كتاب «مجاز القرآن» لابي عبيدة معمراً بن المثنى اللغوي المتوفى سنة 208 هـ وقد كان السبب

نظرة في الصِّلَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْفَارَسِيَّةِ حَتَّى مَطْلَعِ الْإِسْلَامِ

دكتور محمد التوبي

وبما أن حديثنا محاط بطار تبادل النثر والتأشير بين العربية والفارسية ، فلذا ذكر أن للغة العربية نضال على الفارسية هو فعل العام النقص وسد الحاجة من المفردات التي انتشرت في اللغة الفارسية، مع انتباس وتبسيط بالادب العربي وتاريخه وتاريخه تطوره السر انتشار الاسلام والعربية في الشرق المسلم . وقد أخذوا منها كثيرا وأخذنا منهم أكثر ، أخذنا منهم في مصر الجاهلي والاموي والعباسي والانحطاط ، ولا زالت بقاياها في لغتنا الحديثة الفصيحة منها والعامية، وأخذوا منها منذ صدر الاسلام ، ولا زالوا يأخذون حتى اليوم . والعالم هندهم ، قدماً وحديثاً ، هو الذي يعبد العربية قدر اجادته للفارسية ، ومقاييسهم العلمي والأدبي للمرء مقدر بمدى معرفته للغة وتمكنه منها .

يقول العولفي في كتابه « جهار مقاله : المقالات الأربع » ، في هذه الشأن ما ترجمته : « لا يبلغ كلام الكاتب درجة عالية حتى يأخذ من كل علم نصيبا ، ومن كل استاذ نكبة ، وينبغي أن يعتاد فراءة كتاب رب المرة ، وأحاديث المصطفى ، والنظر في سحف الخطف مثل ترسيل الصاحب والصابي وقابوس ، والفالاط الإمامين وتدامة ، ومقامات بديع الزمان ، ورسائل عبد الحميد ، ومن دواوين العرب : المتنبي والإبيوريدي والغزوي . ومن شعر العجم الأزرقى والفردوسي » . للتبادل الثنائى مرحلتان : مرحلة ما قبل الاسلام ومرحلة ما بعده . وبما أن المجال ضيق والحديث

نعم ان العرب والمربيه ، يوما ، وصلوا انفسهم الشرق واقصي الغرب ، انفسهم الشرق حتى بلغوا مشارف الصين وتعديها ، واقصي الغرب حتى وصلوا أعلى جبال البرانس وتخطيها . وقد سارت المربيه مع الركبان ، وتفنن بها الحداقة ، فسمعوا الانحراف من الانحراف ، فهزهم الشوق الى معرفتها ، فاقبلوا عليها يتعلمونها او غيرها من شهرتها وسلامتها ، فمالوا عليها يريدون ان يعيشوا بها ولكن :

كانطح سخرة يوما ليوهنا
لنم يضرها ، وأوهى فرنه الوهل

ولقد خرجت اللغة العربية في العصور القديمة من الارومة السامية تاركة شقيقاتها : الفينيقية ، الكلامية ، الاشورية ، العبرية ... وغيرها لتفوقها انساماً وامكانيات عشرات المرات ، وتتفزو وتحدها لغات فارس ، وباكستان والهند وتركية ، ثم شمال افريقية وقبها والأندلس وجنسوب ايطالية . ولقد لمست اللغة العربية كل لغة من لغات تلك المناطق لمسات تراوح بين التأثير الزيهد والدوايin التام .

ولا يعني حديثي هذا ان المربيه اترت ولم تتأثر ، لا ، فما من لغة في الدنيا لم تعلم فغيرها ولم تنظم بغيرها ، واللغة التي لا ترث ولا ترث ت被认为 جائزة ضيقه المحيط والامكانيات . كما لا يُعتبر لغة تأثرها بتجارتها او بمعارفها ، ولا يُعد ذلك من ثغرتها .

وقد كانت الاتصالات العربية الفارسية قبل العبرة غالباً مبارزة عن معارك وأهارات من قبل القبائل لستيفيد من خيرات فارس ، فيقوم جند كسرى لصد وقتل العابثين .

اما من الناحية التجارية ، وهو أمر هام كذلك ، لقد كانت الجزيرة العربية سوقاً لبضائع فارسية وهندية ، كما كانت محطات لقوافل فارسية ، كانت في طريقها إلى بلاد الروم أو إلى بلاد اليمن السعيد . وقد كانوا يخشون على قوافلهم التجارية من هجمات القبائل لهذا استعاناً بالعرب كثيراً ، كما أشرت ، على هذه القوافل أيام السلان والسفقة . وقد كانت مكة ، كما نعلم ، سوقاً عالمية ، فيها تجار من شتى الامماع . وكما يحدتنا الوادي انه كان فيها ممثليون تجاريون لفارس ويزنطة ، كما كانت التراحم الفارسية من الملات الرائجة آنذاك . وقد كانت بلدة « جرة » على الخليج العربي سوقاً تجارية لبضائع الهند وفارس ، وقد أنسنت هذه المدينة في القرن الرابع قبل البلاد .

ومندما أزدادت اتصالاتهم بالعرب ، حرباً وتجارة ، نكروا بتأسيس امارة على تخومهم ، يحمون بها أنفسهم مغبة هجمات القبائل ، فأسسوا دولة المنذورة في العراق ، ومهمتها جمع الفرائب وتقديمها للباطل الاجعمي ، وحماية التخوم ، كما فعل الروم بتأسيس دولة الفاسنة على تخوم الشام .

ونظراً إلى أهمية العبرة ومكانتها من الأدب العربي والصلات مع الفرس ، ونظراً إلى النسبة الشعرية التي برزت فيها ، أجدهن مضطراً للوقوف على أبواب العبرة وتصربيها ، لاطرقها ، ولا تنظر جواباً محدثنا عن الخورنق والسدير .

ترجع نشأة هذه الدولة إلى « جديمة الإبرش » الذي خضع للفرس ، واستعمل بهم على شيء من السيطرة على القبائل في بادية الشام . ثم ان « رقاش » اخت جديمة تزوج رجلاً من بنى أحوالها اسمه « عدى بن نصر اللخمي الإيادي » ، ورزقت منه صبياً سنه « ممرا » ، فلما مات جديمة عام 268 م خلفه عمرو هذا ، وانحدر العبرة على مقربة من « بابل » ومن الكوفة اليوم ، متولاً له . فمن عمرو هذا جاء ملوك العبرة .. وتقليل غير ذلك .

ويظهر ان كلمة (العبرة) سريانية ، ومعناها المذكر ، وهي في الأصل (حرفاً) . وقد كانت مكونة من نصوص ممحونة حول ميدان واسع . وينسب بناء قصرى الخورنق والسدير إلى التعمان الأول الذي

شيق ، والمرحلتان واسعتان ، فاني اكتفى باستعراض المعات ترمي الى مدى التبادل الثنائي الذي كان يجري في الجاهلية وحتى مطلع القرن الهجري الاول ، مرجحاً الحديث عن المرحلة الثانية ، وهي الاوسع ، الى مقالة فانية ان شاء الله .

اما المرحلة الاولى فقد كان العرب على اتصال مع الفرس منذ كورش الذي تولى (550 ق. م.) اذ دفعوا له الجزية ، ثم اهانوا ابنه « كبوچة » ، والذي اسمه العرب (قمبيز) ، عام (525 ق. م.) على فتح مصر والسودان . كما يرى ان الفرس كانوا يعظمون البيت الحرام ، ويحجون الى مكة ، ويقطفون بالبيت ، ويزمرون على بئر اسماعيل . ومن جملة الاكاسرة الذين حجوا الى مكة « سasan بن بابك » مؤسس الدولة الساسانية . وفي ذلك يقول أحد الشعراء الفرس مفتخرًا :

وَمَا زَلَّنَا نُحْجَ الْبَيْتَ قَدْمًا
وَلَقِيَ بِالْأَبْطَاحِ آمِنًا

وَسَاسَانَ بْنَ بَابَكَ سَارَ حَتَّى
إِنَّ الْبَيْتَ الْمُتَقِيقَ يَطُوفُ دِينًا

نَطَافَ بِهِ وَزَمَرَ عَنْدَ بُشَرٍ
لِاسْمَاعِيلَ تَرْوِيَ الشَّارِينَا

وقد وجدت مدينة عربية بين دجلة والفرات في زمان « شاور بن اردشير » سنة 273 م ، قبل ان تعرف مدينة العبرة وكان اسم ملكها « الساطرون » ، والعرب تسمى المدينة « ضيزن » ، وسكن فيها قبائل من قضاة وبني مبيد ابن الاجرم . وكان الساطرون على حرب دائم مع شابور . وقد استطاع هذا فتح المدينة وقتل الساطرون ، وفي ذلك يقول « عمرو بن الله » :

الَّمْ يَحْرِنُكَ وَالْأَنْبَاءَ تَنْمِي
بِمَا لَاقَتْ سَرَّةَ بْنِي مَيْدَ

وَمَصْرَعَ ضَيْزَنَ وَبَنَى إِيمَهُ
وَاحْلَاسَ الْكَتَالِبَ مِنْ تَزِيدَ

أَاهَمَ بِالْيَيْوَلِ مَجَالِسَاتِ
وَبِالْأَبْطَالِ ، سَابُورَ الْجَنْدُودَ

لَهُدُمَ مِنْ أَوَاسِي الْحَصْنِ صَغِرَا
كَانَ ثَالِثَهُ زَبَرُ الْعَدِيدَ

اولى البعثة الى مكة ، معاديا في ذلك الدين الاسلامي . ولقد رحل بعض العرب الى بلاد الفرس يقصد الشنوة والسباحة ، او كانوا رسلا للملوك والتجمار فرأت اعينهم معابدهم الكبيرة ، ومبانيهم الفخمة ، ورواوا كيف يعيشون ويطعمون ويشربون ، وسمعوا في مجالسهم العكبات والاقاصيص وحياة الملوك ، فائز هذا الى حد ما ، في مقلبة العربي ، والشاعر منهم خاصة ، نذكر ما رأى واستفاد من هبرهم ، واقتبس من معتقداتهم .

بِبَابِ لَمْ تَعْصُرْ نِجَامَتْ سَلَافَةً
تَخَالَطْ قَنْدِيدَا وَمَسْكَا مَخْتَمَا
يَطْبُفْ بِهَا سَاقْ عَلَيْنَا مَشْمَعْ

يطوف بها ساق علينا مشوم
 خفيف ذايف ما يزال مقدما
 بكأس وابريق كان شرابه
 اذا سب في المصحاة خالط بقما

لنا جلسان هندها وبنفسج
 وسيستبر والمرزجوش منمنما
 وآس وخبری ومرد وسوسن
 اذا كان هنرمن ورحت مخشمها
 وشاهس Ferm والباسمين ونرجس
 بضمبنا لي كل دجن تفيما

حكم بين 400 - 418 م . وقد بني النعمان قصر الخورنق قرب الحيرة ، بناء المعمار الرومي الشهير « سمار » . والخورنق كلمة فارسية أصل لفظها (خورنگاه) أو (خورنه) ، وهو الابوان لدى ملوك الفرس ، كان يستخدم للاستفادة من أشعة الشمس وللحصاد ، وعريت الكلمة الى (خورنق) ، ثم صارت في مصر (الكرنك) .

كما بني السدير في بادية الشام ، وأصل الاسم
أ سه دير : القتاب الثالث ١ . وقد بناهما النعمان
عندما أرسل « يزركن » وهو « بيرام كور : بيرام
العمار » إلى العحيرة لينشأ نشأة فروسية ، ويربى
تربيبة قوية ، ويتعلّم القتال ، وينعم بجودة الماء ،
وكم تفني الشعراة بجمال هذين التصرين ، وخاصة
مدى والأشعش .

وتعلم بهرام هناك العربية ، ويحکى انه قال
الشعر العربي ، كما نسب اليه اول بیت شعر
بالفارسية . وبعد وفاة ابيه نازعه أخيه على الملك ،
فاستعمل بالعرب ليصل الى الملك ، وكان له ذلك ،
ولما امتنى العرش لم ينس ما كان لعرب العيرة من يد
عليه تقریبهم وأعلى شأنهم .

وقد كان للنهمان كتائب عسكرية أهمها النهمان الاولى (الشهباء) وهي فارسية ، والثانية (دوسر : ذات الراسين) وهي مربية . وقد انتقلت التجارة الفارسية رسميا الى هرب العبرة ، فنقلوا بضائعهم وحملوا قوافلهم .

نستدل من ذلك كله أن التبادل جرى عن طريق التجارة أولاً ومن طريق الجوار سلماً وحرباً ثانياً . هذا الاتصال الوثيق كان يجبر الطرفين أن يستخدموا مترجمين يقومون بالاتصال بين التصريرين العربي والفارسي ، ومتجمرين يرافقون اصحاب القوافل التجارية . فقد كتب (لقيط بن يممر الإيادي) لكسري وترجم له ، وكان (هدى بن زيد) من ترجمة كسرى أبرويز ، كما كان أبوه زيد على معرفة بالفارسية .

كما كانت مدرسة (جند يشبور) بمهد الدراسة الطب والفلسفة والموسيقى ، فرحل بعض العرب لتعلم الطب ، منهم (الحارث بن كلدة التميمي) الذي اتقن في ذلك المهد الطب والعرف . وذهب كذلك ابنه «الغفار» إلى هناك ، وكلف بالفارسية . وهو الذي كان يسمى أقاوصي رست واستقدار في

قطع العرب أحرمة رواحل نسائمهم ، ليستمروا
دائمًا عن الحرائر الأولى لا يستطيعون الفرار على رواحل
لقطمت أحزمتها . فاتجهت المعركة من هرية الفرس ،
نأشاد الشعراً بقبائل يكر وشيبان ومجل خامسة ،
كقول الدهلن بن جندل :

ان كنت ساقية يوما على كرم
فاسقي فوارس من ذهل بن شيبانا
واسقى فوارس حاموا من ديارهم
واهل مغارفهم مسكا وريحانـا

وكان العراق من أخصب أراضي الجريرة
بنهرها ، وبالحضارة المتبقية من حضارات الأمم
الاصلية ، ومن المتاخرة المتاخرين بحضارة الإسكندرية .
وقد أمر هرقل بن الخطاب (وفس) الشاه مدبنسي
البصرة والكونفة حول العيرة ، فتحولت اليهـما كنوز
المدائـن وحضارة البلاد . وبـما أن سكان هـاليـن
المديـنـيـنـ منـ العـربـ وـمـنـ الـموـالـيـ ، فـقـدـ اـسـطـرـ هـؤـلـاءـ
إـلـىـ تـلـمـ الـعـرـيـةـ ، فـكـانـواـ أـوـلـ مـنـ اـقـنـ الـعـرـيـةـ وـالـفـ

ـيـهـاـ .
ـوـلـماـ اـسـتـقـرـ الـإـسـلـامـ وـالـعـرـبـ فـيـ الـعـرـاقـ وـفـارـسـ
ـوـخـرـاسـانـ حـصـلـ الـاتـصالـ الـمـبـاـشـرـ بـيـنـ الـأـمـتـيـنـ .ـ لـذـاـ
ـقـدـ اـخـتـلـفـ عـوـاـمـ الـإـسـلـامـ وـالـتـبـادـلـ الـثـقـافـيـ بـمـدـ
ـالـإـسـلـامـ مـنـهـاـ قـبـلـ الـإـسـلـامـ .ـ فـلـمـ تـعـدـ فـرـيـدةـ ،ـ كـمـاـ لـمـ
ـتـعـدـ سـطـحـيـةـ اوـ فـيـقـةـ الـمـجـالـ الزـرـمـيـ ،ـ وـإـذـ رـجـحتـ
ـكـفـةـ الـفـرـسـ فـيـ الـجـاهـلـيـةـ ،ـ وـإـذـ كـانـ التـائـرـ مـنـ طـرفـ
ـالـعـرـبـ هوـ الـفـالـبـ قـبـلـ الـإـسـلـامـ فـقـدـ اـخـتـلـفـ الـأـمـرـ هـنـهـ
ـبـعـدـ الـإـسـلـامـ وـرـجـحتـ كـفـةـ الـعـرـبـ ،ـ نـظـرـاـ إـلـىـ أـنـ الـاتـصالـ
ـجـمـاعـيـ وـعـبـقـ طـوـيلـ الـأـجـلـ .ـ

ـوـيـرـجـعـ السـبـبـ الـأـوـلـ لـهـذاـ الـاتـصالـ إـلـىـ فـتـحـ
ـالـعـرـبـ لـأـرـضـ فـارـسـ وـحـكـمـهـ .ـ وـلـنـ اـنـدـعـ مـنـ الـعـارـكـ
ـالـتـيـ جـرـتـ بـيـنـهـماـ حـتـىـ اـسـتـقـرـ الـأـمـرـ لـلـعـرـبـ ،ـ لـهـذاـ
ـحـدـيـثـ طـوـيلـ لـاـ تـسـعـهـ صـفـحـاتـ فـيـقـةـ الـمـجـالـ ،ـ كـمـاـ
ـأـنـ لـيـسـ محـورـ جـدـيـثـاـ .ـ وـمـنـ نـتـيـجـةـ ذـلـكـ الـفـسـيـعـ
ـالـجـالـ لـتـيـارـاتـ وـصـلـتـ الشـعـبـيـنـ بـيـعـضـهـماـ حـيـاةـ
ـوـتـكـرـةـ .ـ وـسـارـتـ الـخـبـوـتـ الـتـيـ كـانـتـ تـصـلـيـهـماـ فـيـ
ـالـجـاهـلـيـةـ طـرـقـاـ نـسـيـحةـ مـهـدـةـ ،ـ وـسـارـتـ الـمـالـلـقـ
ـالـفـرـيـدةـ رـوـابـطـ اـجـتـمـاعـيـةـ وـلـيـقـةـ ،ـ وـأـسـبـحـ الـصـلـاتـ
ـالـمـوـقـوـتـةـ هـرـىـ دـامـتـ قـرـونـاـ نـسـيـحةـ .ـ وـحـسـبـاـ انـ
ـنـشـيرـ إـلـىـ أـنـ الـعـرـبـ اـسـسـواـ عـلـىـ حـدـودـ الـفـرـسـ مـدـداـ
ـمـنـ الـمـدـنـ اـنـخـلـتـ الطـابـعـ الـفـارـسـيـ ،ـ كـمـاـ كـانـ اـسـمـ
ـأـفـلـبـهاـ فـارـسـياـ اـيـضاـ ،ـ مـنـ ذـلـكـ :ـ الـبـصـرـ (ـبـسـرـاءـ :ـ
ـبـعـدـ الـطـرـيقـ)ـ ،ـ الـكـوـنـةـ ،ـ الـأـنـبـارـ (ـالـمـخـرـنـ)ـ ،ـ ثـمـ صـارـتـ

ـوـمـسـنـ سـيـنـ وـوـنـ وـبـرـيـطـ
ـبـجاـوـيـهـ مـنـجـ إـذـاـ مـاـ نـرـنـاـ
ـوـهـنـاكـ ،ـ كـذـلـكـ فـيـرـ الـاعـشـيـ ،ـ مـدـيـ بـنـ زـيدـ الـدـيـ
ـكـلـنـ مـيـنـاـ لـلـفـرـسـ فـيـ بـلـاطـ الـحـبـرـةـ .ـ وـلـنـ نـنسـيـ النـابـةـ
ـالـدـيـبـيـانـ وـصـاحـبـهـ النـعـمـانـ اـبـاـ قـابـوسـ ،ـ وـمـاـ كـانـ لـهـ مـنـ
ـفـلـ علىـ اـيـجادـ بـابـ الـاعـتـدـارـ فـيـ شـمـرـ الـمـسـرـ ،ـ
ـوـاسـتـخـدـامـهـ لـلـلـفـالـلـ الـفـارـسـيـ فـيـ الشـمـرـ الـعـرـبـ ،ـ لـمـ
ـهـنـاكـ قـيـسـ بـنـ الـغـطـيـمـ ،ـ وـطـرـفـةـ وـمـالـكـ بـنـ نـوـبـرـةـ ،ـ
ـوـمـعـروـ بـنـ كـلـثـومـ ،ـ وـحـسـانـ .ـ

ـوـتـعـتـبـرـ الـمـقـالـهـ مـنـ اـكـثـرـ الـأـمـرـوـرـ تـأـلـيـفـاـ فـيـ الـأـمـ دـفـيـ
ـأـدـاـبـهاـ .ـ فـقـدـ مـرـفـ الـعـرـبـ فـيـ الـجـاهـلـيـةـ الـوـرـدـكـيـةـ وـهـيـ
ـالـجـوـسـيـةـ ،ـ وـالـمـانـوـيـةـ ،ـ وـالـمـزـدـكـيـةـ .ـ وـقـدـ تـجـلـ ذـلـكـ
ـبـتـقـدـيسـ الـعـرـبـ لـلـنـارـ الـمـقـدـسـهـ مـنـ الـجـوـسـ بـحـلـفـهـ بـهـاـ
ـوـبـوـسـفـهـاـ ،ـ كـمـاـ بـعـدـ بـعـضـ الـعـرـبـ الـشـمـسـيـ وـهـيـ مـنـ
ـهـنـاسـ الـطـبـيـعـهـ وـهـيـ اـلـتـيـ عـبـدـهـاـ الـفـرـسـ وـالـشـرـقـ ،ـ
ـوـيـدـاـ ذـلـكـ كـلـهـ فـيـ شـعـرـهـ .ـ وـنـجـدـ بـقـايـاـ ذـلـكـ فـيـ اـشـعـارـ
ـالـشـعـرـاءـ بـعـدـ الـإـسـلـامـ كـبـشـارـ وـالـمـرـيـ وـالـمـتـبـيـ وـأـبـيـ
ـتـعـامـ .ـ وـلـاـ اـدـلـ عـلـىـ تـأـلـيـفـهـ يـالـأـدـيـانـ الـفـارـسـيـ مـنـ قـولـ
ـأـبـيـ تـبـيـةـ فـيـ كـتـابـهـ (ـالـمـعـارـفـ)ـ ،ـ مـنـ كـلـامـهـ عـلـىـ اـدـيـانـ
ـالـعـرـبـ فـيـ الـجـاهـلـيـةـ .ـ

ـوـكـانـتـ الـنـصـرـانـيـةـ فـيـ رـيـمـةـ وـفـيـسـانـ ،ـ وـبـعـضـ
ـنـصـامـةـ ،ـ وـكـانـتـ الـيـهـوـدـيـةـ فـيـ حـمـيرـ وـبـيـنـ كـنـافـةـ وـبـيـنـ
ـالـعـارـثـ بـنـ كـمـبـ وـكـنـدـةـ ،ـ وـكـانـتـ الـجـوـسـيـةـ فـيـ لـبـيـسـ ،ـ
ـوـكـانـتـ الرـنـدـقـةـ فـيـ قـرـيـشـ ..ـ أـخـدـوـهـاـ فـيـ الـعـيـرـةـ .ـ
ـوـقـدـ رـفـضـ الـمـنـدـرـ الـثـالـثـ اـمـتـاقـ الـمـزـدـكـيـةـ فـعـرـلـهـ
ـقـبـلـ وـهـيـ مـكـانـهـ الـعـارـثـ بـنـ مـعـروـ أـمـيـرـ كـنـدـهـ .ـ بـعـدـ اـنـ
ـأـنـتـنـقـ الـمـزـدـكـيـةـ .ـ

ـوـتـذـكـرـ كـتـبـ الـتـارـيـخـ أـنـ يـوـمـ ذـيـ قـارـ (ـ610ـ مـ.)ـ
ـلـخـرـ الـعـرـبـ ،ـ حـصـلـ فـيـهـ أـوـلـ مـعـرـكـةـ قـاتـلـ الـعـرـبـ
ـبـاجـمـاعـ تـقـرـيـباـ شـدـامـةـ هـرـيـةـ حـاكـمـةـ ،ـ وـأـحـدـاثـ هـذـهـ
ـمـعـرـكـةـ مـعـرـوـنـةـ ،ـ وـقـصـةـ ظـفـرـنـاـ فـيـهـاـ تـعـكـيـ صـفـحـةـ مـنـ
ـصـفـحـاتـ مـجـدـنـاـ الـعـرـيـقـ ،ـ فـقـدـ قـتـلـ النـعـمـانـ مـدـيـ بـنـ
ـزـيدـ ،ـ فـرـدـ كـسـرـىـ الـتـقـامـهـ بـقـتـلـ النـعـمـانـ ،ـ فـاستـمـدـ
ـالـعـرـبـ وـأـسـتـمـدـ الـفـرـسـ .ـ وـكـانـتـ الـنـسـوـةـ الـعـرـبـ
ـيـحـرـضـنـ الـرـجـالـ عـنـ الـأـسـتـبـالـ ،ـ وـيـلـهـنـ بـطـولـهـ
ـبـأـنـأـشـيـدـ حـمـاسـيـةـ ،ـ مـنـهـاـ :

انـ تـهـرـمـواـ نـمـانـقـ
ـوـنـفـرـشـ الـنـمـارـقـ
ـأـوـ تـهـرـبـواـ نـمـارـقـ
ـلـرـاقـ فـيـرـ وـأـمـقـ

في العامية عنبر) ، يقداد (الله المعطن ، حديقة الله) .. ونشرمان ما امتنلا هذه المدن بالغرب) ، وسرمان ما وند إليها الفرس . ثم غدت مراكز للثقافة العربية الإسلامية .

كما اعتنق الفرس الاسلام مختارين ، تخلصا من المظالم التي اصطلوا بثارها قبل الاسلام ، فتسابقوا الى تعلم العربية على أنها لغة الدين والحكم . وقد ازداد الاختلاط في زمان العباسيين ، وكما نعلم ان للفرس شيئاً قوياً في تأسيسها . ولقد زاحم الفرس العرب في الوزارة والمحاجة وقيادة الجيوش وجباية الاموال وولاية الاقاليم وإدارة الدواوين ومنادمة الخلفاء وفرض الشعر .

ولقد دخل القرآن الكريم الناظل فارسية منها : ابريق . طبق . سراب . سجيل . جرف . سندس مسك . كانور . خندق . استبرق . كثرب . ومن شاء الاطلاع على الانفاظ الفارسية في القرآن ليبرجع الى الاتقان للسيوطى او الى المجمع الذي كتبه « آرثور جفري » في الدخيل من كلمات القرآن التي قبضها العرف من الفرس ، وهي مما مستحدث منها في مقالتنا القادمة .

* * *

ومن الحق أن نقول أن للفارسية فضل راب الحاجة الحضارية وسد النقص اللغوي الذي تطلب

(يتبع)



إِفْرِيقِيَا الْمُسْلِمَةِ مِتَّحِمَّةٌ لِّلْغَةِ الْقُرْآنِ

وَلِكِنْ ضِعِيفُ الْوَسَائِلِ يَحُولُ دُونَ اِتِّشَارِهَا

أَشْيَعُ شَرِيفٍ مَكِيٍّ هَبِيرٍ

(حلب)

تعمله حروفها وحكماتها من دلالات ومضامين هدفهم الى فهم آيات القرآن وأحاديث النبي وكل ما يتصل بزروع الشريعة الإسلامية حتى أخذوا بقولون بالعربية دون لفاظهم الأصلية التي ما كانت تستطيع التعبير من آرائهم وعواجلهم بهذه الآفاق المنطلقة ..

والتأليف التي تركوها تقل في قيمتها العلمية من التي الفها ابناء العرب الخلص .. ولا يبرر لها إلا الإتجاه الا العائلي الذي دفعهم لأدراك أسرار الشريعة الإسلامية ، ثم الترجمة التي فاضت بها القلوب بحب هذه اللغة التي نزل بها القرآن وكانت الشعلة التي أوقدت الانوار نشر كوا لنا ترايا شخما ما تزال البشرية تعيش على رواله مختالة لغوره ..

ولا مجال للذكر الاعلام الذين الفوا في العربية لهم من شئ الام ، من الفرس والترك والمديسم والهنود ، حسبى ان اذكر الفارابي ، وأبن جنبي ، والغزالى ، وأبن سينا ، والفارغ الرازى والبيرونى ، والسمورودي ومشرفات من الف Howell الدين تركوا لغتهم وكتبوا تاما لغتهم وما زادهم في الدين والتصور والعلم والادب والحكمة - كتبوها بالعربية الفصحى وما تزال متداولة حتى يومنا هذا ..

وفي خرائطى كتاب باللغة التركية عنوانه « مشتالى مؤلفرى (1) المؤرخ اديب اسمه «بروسلى

(1) الكتاب فى مجلدين كبيرين نسبتاً صفحاته على الستمائة صنعته بالحرف الصغير .

لمل اظهر مظاهر الترابط بين الاسلام ولغة القرآن ، ان الاسلام لا يمكن ان يفهم فيما كاملا بدون التعمق بدراسة لغة القرآن ..

فقد نزل الوحي الرباني على النبي الكريم بهذه اللغة التي جمعت فاقمت .. وكانت من البلافة وسحر القول ما هر النتوس وايقظ الصمائـ ..

وحيث استضافت الدعوة المحمدية لم تشمل العرب الححسب ، بل تجاوزتها الى الكثير من انطارات الدنيا فاستجابت لها امم من الشرق ومن الغرب ، متباعدة الاهداف والأنظمة والمقاييس واللغات - استجابت للدعوة المحمدية لا شيء الا لما تضمنته من مباديء انسانية ونزعات مثالية ونظم خيرة وسنن كريمة ..

وقد اقبل غير العرب على تعلم لغة القرآن بغية نهم محكم آياته فاكتشفت لهم آفاق ترفع من كرامة الانسان وتصيون حقوقه وتشيره ليكون اداة بناء لى دعم الحضارة الإنسانية ..

وما هي الا نتارات لم تطل ، جيلا بعد جيل ، حتى كانت العربية ، قد هرت اندية لطاحل الرجال الاذكياء من مختلف الامم ، تفكروا وهم يدرسونها ، على التعمق في اسرارها كما كادوا يلسون هذا الجمال ، وهذا الفن في الفاظها ومفرداتها ، وفيما

ولا اعلم اذا كانت بعثة الجامعة العربية لتصوير المخطوطات العربية والتي قامت بعدة رحلات الى تركيا - قد اهتدت الى هذه الآثار وصورت بعضها ..

* * *

كان علماء الاتراك في مهد السلطنة العثمانية يلجون الكثير من كتبهم بالعربية كلاما، الفرس تماما ..

ومنذ مهد الفاري اتالورك ، وقبله بسنوات ، اي. منذ ذرت « المنصورية الطورانية » فرنها - توقف هذا الاتجاه ، بل قضى عليه تماما بعد ان استبدل الاتراك الاحرف العربية بالاحرف اللاتينية - وهذه جنابه لا تفتقر فرضها اتالورك على الشعب التركي الذي نصل بينه وبين الحرف العربي المقدس الذي نزل به القرمان .. وكانى به قد مس الاخوة الاسلامية في المصيم وحمله يتوجه الى الغرب بدل ارباطه بالشرق وبالشوق الاسلامي بصورة خاصة.

واستدركنا فاقول ان الشعب التركي بمجموع افراده وطبقاته ومجتمعاته متدين حبيب التدين ، يغيب قلبه بروح الاسلام ، وما يزال مرتبطا بحبه وقلبه وضميره ببلغة القرمان .. ولكن هذه الصلة بين الروح الاسلامية وبين الجيل الجديد سيعودها شيء من البلبلة والتفتاك الا من عصم ربك !

اذكر بهذه المناسبة ان نقاشا كان دار بيني وبين صاحب جريدة « اف Sham » - الماء - الاستاذ نجم الدين صادق - وهو من النصار اتالورك التمحسين - دار هذا النقاش حول الحرف اللاتيني ، واذكر انه قلت له : ان الجيل الجديد سيعيش هدا في مئاهات مظلمة حين يبحث عن اصل الكلمات التي دخلت لغته - وقد دخلها الكثير من لغات الشرق والغرب - . وضربت مثلاً هذه كلمات منها كلمة « الحبة » - والاتراك يقلبون الحاء « هاء » فيلفظون المعبة « مهبت » ، وامثالكم من الجيل القديم يدركون ان اصل الكلمة من « الحب » وهي كلمة هرية ، أما الجيل الجديد - وقد قطع منه بالحرف العربي - لسيجهل الكثير من اصل الكلمات التي يتحدث بها او يكتبها - سيعمل هي هرية الاصل أم الرئيبة أم سنكريتية - وبذلك تعطي البلبلة على افهم النشره الجديد الذي سيعيش في فيه من الرطائن اواقر بالامر .. ثم قال انتا اخترنا الخطة التي رسمنا الفاري ولا جبلة لنا في الامر ، ولستنا نادمين !

محمد طاهر» ترجم فيه لثلاث المؤلفين الاتراك الذين دونوا ملوكهم بالعربية .. فهم مؤرخون واطباء ورياضيون وجغرافيون وشعراء وادباء وعلماء - الفوا بالعربية وبالتركية والفارسية وما الفوه بالعربية أكثر ..

وافتتح هذا الكتاب على غير هدى ، وافرا سيرة عالم عرف باسم الـ « الكافيجي » او « الكالبيجي » اشهى ابن جهير الاتراك بن سليمان بن موسعد الودمي احد فضلاء الاتراك ، محرر قریته « برقمه » وقام برحلات الى اطراف الاناضول ، والى ايران ، والى آسيا الصغرى يتصل بالعلماء ويأخذ منهم ، ثم اثنى به المطاف الى مصر فانصل بالملك الاشرف بريبيسي الذي اكرم وفادته وخلع عليه الخلع ، ثم ناط به احدى الرتب العلمية ..

لقد ترك هذا المؤلف التركي عشرات الرسائل والكتب بالعربية منها :

- 1 - التيسير في علم التفسير
 - 2 - انوار السعادة في شرح كلمة السعادة
 - 3 - تshireخ مسألة الاستثناء
 - 4 - الاشراق في مرائب الطلاق
 - 5 - سيف التقى على البغاء
 - 6 - الفرج والسرور في بيان المذهب
 - 7 - نزهة الارواح ونبطة الاشباح في التصوف
 - 8 - شرح تهذيب المنطق والكلام
 - 9 - منبع الدرر في علم الاز
 - 10 - منازل الارواح
 - 11 - المختصر المفيد في علم التاريخ
 - 12 - حل الاشكال في مباحث الاشكال والهندسة
 - 13 - تفسير الآيات المتشابهات
 - 14 - نزهة المغرب في المشرق والمغرب
- ويصل عدد هذه الرسائل والكتب الى الأربعين كتابا ..

واكثر الكتب التي اشار اليها مؤلف الكتاب ، هي مخطوطات في مكتبات استانبول والاناضول ..

عربية صافية نهر المشamer بيقاعها الموسيقي ، وثير الانهاب بمعانها السامية التي ماتت «حقوق الانسان» وحددت له واجباته ومسؤولياته نحو الله والمجتمع - استطاعت لغة هذه الرسالة ان تكتسح بقية اللغات وان تحفل الصدارة في البيش الرسمية والشعبية وهي السنة القوم على اختلاف تعلمهم ومذاهبهم ، وما هي الا ثارات لم تطل حتى انتقلت بلاد الشام العربية للانسان ، وعربة الفكر والقلب والوجدان ، وانضوت باكثريتها تحت راية القرآن .

لقد كان هذا الحدث من اقوى العوامل والاسباب التي ربطت ، في الاقليم الذي اعيش في ظلاله ، بين العربية والاسلام .

ومن الشام انطلقت العبيشات تنشر هذه الرسالة ، رسالة النبي العربي في أنحاء الدنيا .. تنشر الدين واللغة معاً . واذا الاسلام بخلاف القرآن وبدستوره الحكم يتفسى على الوبيشات ويصبح للغة العربية هذه القداة في نفوس القوم والإدارة المعرفة من هواجسهم وآرائهم في شئون الحياة والمجتمع ، وفي شئون المرأة ..

* * *

هذا وإن ما تأثر لغة القرآن بجلية في انتاج علماء المجمع .

ولم ينس ذلك فيما كتبه شاعر باكستان العظيم محمد اقبال ، لغى أكثر كتاباته صور من نفحات القرآن ، والفالاظ تبع من سميم القرآن . ولننس هذا عند شاعر الترك الاعظم عبد الحق ي Hammond . فالكثير من شعره وادبه . مردان بفتحات من كتاب الله العظيم ..

وأستطاع القرآن ان يصون لهجات الجاليات الاسلامية في القطران الغربية - من المهمة ، بل كان له اثره في افساده دونق جميل على أدبه . وهذا ما تلمسه في ادب المجرمين وفنانهم وأكثرهم من أخواننا السبّاحين !

هذا وقد استطاعت العربية ان تفرض ذاتها على الكثير من الامم الاسلامية فكان بخلاف القرآن الرها في النقوش وفي المقول وفي الاذواق .. ومن هنا ظل الترابط ويفقا بين العربية والاسلام ، وكان لهذا الترابط الاره في هير المسلمين ولدى المستشرقين بصورة خاصة فانا نقرأ لكثيرين منهم دراسات باللغة العربية على خاتمة من العمق والقيمة الفكرية .

قد يقال ان مكون المستشرقين على تعلم العربية يختلف كل الاختلاف على اولئك الذين اجتذبهم الاسلام الى رحابه ودخلوا في دين الله ادواجا .. ولا نقول غير ذلك .. الا ان فن اللغة وسحرها واستيعابها لترويج الاسلام ونشر عيشه السمححة هي التي اجتذبهم الى دراستها فتركوا آثاراً تفتر بها الدراسات النهجية وان شاب الكثيرون منها نزهات وشكوك ولوئات لم تخف على الباحثين الذين تناولوها بالرد على ضوء من الحقائق المجردة التي ترفض العقل والضمير ويقرها الاعيان والفقير ..

وبعد فليس هنا مجال التوسيع في هذا الاستطراد الذي جاء مرضاً وانا اشير الى لفتنا الجميلة التي ماضت مع القرون وما زالت حية نابضة معبرة عن الكثير من الخلجات الإنسانية ، تأخذ وتعطي دون ان يصيبها المبرال او الشبحوخة او الموت الذي اصاب الكثير من اللغات .

* * *

وقد ظلت العلاقة بين الاسلام واللغة العربية غير منفصلة طوال عصور التاريخ .

لغى بلد الشام ، وترجع الى مهد الفتح العربي ، كانت لغة السوريين خليطاً من الارامية والسريانية واليونانية وفيها من لغات لهجات .

وكانت العربية هي لسان ينبعض القبائل والمشيخات العربية القاطنة في الاطراف والتخوم ، للما جاء اللفتح العربي يحمل رساله السماء بلغة

آثار الفك في القرآن

لغة المسلمين العجم

الإسلاّم ساميّ التباهي

أحد زعماء الفريقيا السوداء (دكتار)

الانتشار الاسلام في بقاع نائية مثلا لا تمت الى العرب بصلة وليس لها اي امام باللغة العربية . فالاسلام لم يصل الى هذه البقاع الا من طريق من حملوا هدبته ورسالته وانطلقا ينتشرون تعاليمه في مشارق الارض ومغاربها . او ليس طارق بن زياد هو الذي حمل الاسلام الى الاندلس والمغرب من طريق الفتح ؟ .. او ليس مقبة بن نافع هو الذي حمل الاسلام الى افريقيا السوداء ينشر تعاليمه ويبشر برسالته من طريق حملاته التوسيعة ؟ .

لقد توسع الاسلام في افريقيا دون وجود بيئة تعلم باللغة او تجدها . وكان الفضل في ذلك لوعظ كبار العلماء وجهودهم من جهة ، ولتوفر الاستعداد الفطري عند الافارقة لقبول الدعوة . ففي منطقة « الكازامن » في السنغال مثلا : كان وجود علماء كبار من امثال والدي المرحوم الشريف يونس ضرورة اكيدة وعاملها في نشر الاسلام ، واكتساب المدد الافضل من السكان الى جانب الدعوة .

لابد للباحث في هذا الموضوع ان يأخذ بعين الاعتبار هاملين هامين رافقا الاسلام :

- اوهما : هبوط الوحي السماوي على محمد ابن عبد الله (سلم) وهو هربي ومن بيته هربية .

- وثانيهما : نزول القرآن وهو « قاموس » الاسلام ودستوره بالضرورة - باللغة العربية -

من هنا كان الترابط محكما ومتينا بين الاسلام ، ولغة الاسلام « اي لغة الفساد » ، وكان على مسلمي الارض قاطبة ان يلموا باللغة العربية ، لبسطيموها وبالتالي تأدبه فروض الاسلام والقيام بشعاره وتربيل القرآن .

وهكذا كان لابد للغة العربية ان تصل حيثما وصل الاسلام وحيثما حل المسلمون .

وكان لا بد كذلك من ان ينتشر الاسلام بشكل اشمل وامم في البيئات العربية المنطق والسان . - فالترابط في نظري - بين الاسلام واللغة العربية ترابط عضوي واساسي لا يقل من أهميته اطلاقا

أفنانها بسحر آياته وأعجاز كلماته فافتنتت وأفشت ،
وليس من العجب في شيء أن نرى عدداً كبيراً من
طلبة المعاهد والثانويات الإنارة يترجمون إلى تعلم
اللغة العربية والقلائل بديلاً للغات الأجنبية الأخرى .
ولكن للاسف يحول دون العدد الأكبر منهم والتحقيق
غايتها تعصى الوسائل وعدم توفر الإمكانيات .

ان كثيراً من التعبيرات والأيات القرآنية تمازجت
مع اللغات المحلية واللهجات الإقليمية المسلمين في
شمال الأرض ومقاربها ، حتى غدت جزءاً من هذه
اللغات واللهجات ، الشيء الذي يؤكد مجدداً التلازم
والترابط بين الإسلام واللغة العربية ، هذه اللغة التي
أبى الدوبيان في نفيها من اللغات على مر المصور
ورغم ما عانته من هزات وازمات، ذلك أن الإسلام

كتاب العزائم

الدستار | محمد الصوفي

(الوصل)

إلى أن يقتله رجل اسمه فيروز ويلقب بابي المؤنة
الفارسي الشعوبي .

وتحديثنا المصادر التاريخية : - أن أول مخطط هدام للقضاء على القومية العربية قام بوضعه (عبد الله ابن سباء) المروف «بابن السوداء» وقد ولد هذا اليهودي الحاذق في مدينة شعاع باليمن وثقف بالثقافة الفارسية وأظهر إسلامه ليتنعم من المسلمين ويظل الناس وكان يبغى مبادئه الهدامة بصفة دينية حتى يصل بها عامة الناس فكان يقول : - لقد مجتبت من يقول بترجمة المسيح ولا يقول بترجمة محمد ، وبذلك وضع مذهب الرجمة أي ترجمة محمد كما روج بين المسلمين نظرية الحق الالهي التي أخذها من الفرس الذين احتلوا قبل الإسلام بلاد اليمن موطنه الأصلي .

وقد هنا ابن سباء العقول إلى الاعتقاد بأن عثمان ابن عفان انتصب الخليفة وأخذ يؤلب الناس عليه ويدعوهم إلى التوراة على خلافة عثمان بن عفان وبعث دعاته لنشر هذه المبادئ الهدامة بين عامة الناس وقد نجحت دعوة ابن السوداء في البصرة والكونية وفي مصر ولم تنجع في الشام

وتحقق ابن سباء اليهودي الهدام ما كان يرمي إليه من تأليب الولايات العربية على الخليفة عثمان بن عذان وقد بلغت دعوهه الناية منها حيث انتقم كثير من أصحاب النفوذ والجاه إليه مما أدى إلى تنسل الخليفة عثمان بن عفان بعد أن حاصره الثوار في داره 22 يوما ، فكان ذلك أول نصول هذه المأساة وما اعقبها من ثوب العروب الاهلية في البلاد العربية واخذت الكوارث الدامية تحل بالامة العربية الواحدة تلو الأخرى ، منها واقعة الجمل التي حدثت في جوار البصرة بين انصار عثمان بن عفان وبين الخليفة

بدأ الصراع الدموي بين القومية العربية وبين الشعوبية بعد أن تحرر العراق العربي من نير الاستعمار الفارسي في مهد خلافة الفاروق عمر بن الخطاب ، وانضمم هذا القطر العربي إلى الام الوطن العربي الكبير وربط مصيره باشقاءه الأقطار العربية الأخرى سوريا ومصر واليمن والجهاز والاقسام الأخرى من الوطن العربي الكبير الامر الذي أدى إلى تكالب الشعوبين وازدياد حقدتهم على القومية العربية التي حملت رسالة الإسلام الخالدة وثارت بشطتها الوهاج وأنوارها الساطعة البشرية قاطبة .

والقومية العربية الخالدة التي حملت راية الإسلام هي التي أوجدت مبدأ الفساد الاجتماعي الذي دمت فيه تعاليم الإسلام في جوهره يكفل للفرد الميسي فسحة وبرؤ من السكان اجمعين ضماناً اجتماعياً قوياً ضد العامة والوفاة والمجرا والشيخوخة ولم تمض حقبة من الزمن حتى فتح العرب المعمورة بإجمعها وأاسوا في البلاد المتحيرة انظمة مستمدّة من تعليم الدين الحنيف تكفل لجميع الشعوب على اختلاف الوانها ومقابلتها وقومياتها العربية والمساواة وحرية الملك وحرية العبادة وحرية ابداء الرأي . هذه هي المبادئ السامية التي حملتها القومية العربية الخالدة للبشرية اجمع ، الامر الذي أدى إلى حقد الشعوبية واليهودية وقد بدأ التآمر على القومية العربية منذ تولي الخليفة الفاروق العظيم عمر بن الخطاب (رضي) وما كان يظن ان تنتهي حياة ذلك العادل المحب لرميته بضربة خنجر ولكن ذلك حتى يعلم الناس حتى الشعوبين على القومية العربية ، فان عمر اذا كان قد ارضي العرب بما منه وارضي المجم بما افاض عليهم من العدل فقد اغضب كباراهم وذوي السلطان عليهم لانه فعل مروش مجدهم وزلزل قصور ظلمتهم الامر الذي أدى

الا انه لم يتفرغ لها التفرغ الكامل فقضى والدولة
المبادلة مهددة بالزوال ، وتناول السيف خليفته
المهدي لم ابهه المهدي لم اخوه الرشيد .

ولما وقع الشتاق والخلاف بين الاخرين الامين
واللامون وجد الزنادقة والاحرار المدamaة الاخرى
متنفسا آخر فازداد نشاطهم . ومن اخطر العركات
التي انبثقت لهم الاسلام والتضاد على القومية العربية
وسحق تعاليم الدين كلها سعيا الى تعطيم السلطة
السياسية التي تقوم على هذه التعاليم - تلك الحركة
التي تزعمها رجل كان اذكى وأخطر من ابن سباء ، وهذا
الرجل هو المدعو « عبد الله بن ميمون القداع » وهو
ابن فقيه ملحد من جنوب فارس ، وكان ميمون بن
ديسان امام جماعة من الملحدين يزيفون الاحاديث
وينشرون في العامة مبادئ الانكار والهدم والاباحة
ويظفرون في نفس الوقت ثيما لآل البيت لاخفاء
مقاصدهم الحقيقة ، وما كاد ابن حيمون ينظم جمعيته
السرية الهائلة في جنوب فارس حتى بعث بدعائه الى
جميع القطران العربية يبيشوون مبادئه الغلوطيض والهدم
والتشهير بالمهدى المنتظر . وكان داعيته في العراق
رجلًا يسمى « الفرج بن شهان القاشاني » ويعرف
« بذكره وبه » وهو فارسي من مدينة قاشان ، وكان
بيث الدعوة سرا لم تهض في سنة 278 هجرية رجل
من اباءه داهية في الاستهواه والدس بمكان يعرف
بالنهرين على مقربة من الكوفة بيث الدعوة جهرا
فاستجذب له جمع كثير ولقب بـ (قرمط) وكان
يدعو الى خروج المهدى المنتظر الذى يمسلا الارض
بعدله وكان يأخذ من كل واحد من اباءه دينارا للامان
وجعل عليهم الذي شر نقيبا سماهم العواريين ، ولما
علم عامل الناحية بأمره قبس عليه وحبسه ففر من
سجنه واختفى حينا وازداد انصاره تعلقا به ، وتالوا
انه رفع الى السماء ثم ظهر في ناحية اخرى من الكوفة
ومكف على بيته دعوه لم لر الى الشام واختفى بعد ذلك
ولم يقف له احد على خبر ونشأ هذا المذهب
الهدام الجديد في احياء الكوفة واطلق على انصاره
(القرامطة) نسبة الى داعيهم قرمط .

وهكذا قام حرب القرامطة على الشیوخ والاباحاة
لقد بدأ قرمط يجمع من انصاره الشربة العاملة
بنسب صغيرة وبنسب كبيرة ، ثم الفن الملكية الفردية
ثم قرر شیوخ المرأة وغيره من صنوف الاباحاة
القائمة على استغلال اخس الشهوات البشرية وبذلك
نظم مجتمعا شیوميا وسرمان ما تحول القرامطة الى
عصابة هائلة من السفاكين والاشقياء تقتل خصومها
وتستحل اموالهم وامراضهم وتشعر العمارة والرعب

علي بن ابي طالب قتل في هذه الواقعة (10) ألف من
شجعان العرب ، وليت الامر وقف عند العد بل اخذت
العروبة الاهلية بين العرب تتعاقب بفضل الشعوبين
والفرق يتسع بين العرب الذين حملوا راية الاسلام
لحددت حرب صفين بين الخليفة علي بن ابي طالب
 وبين معاوية بن ابي سفيان المطالب بدم شهان ، ولم
تكن واقعة الجمل على شدة هولها ونظامها امراها الا
تقدمة لما هو اشد منها هولا هو الحرب في صفين .
انتهت واقعة صفين التي قتل فيها من شجعان العرب
وامجادهم لسمون الفا ، وهو عدد لم يذهب مثله ولا
قريب منه في جميع الواقع الاسلامية من لدن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى تاريخها . وما يزيد
الاسف ان هذه العرب لم يكن المراد منها الوصول الى
تقرير مبدأ ديني او رفع حيف بالامة ائمما كانت لنصرة
شخص على شخص وقد نتج عن حرب صفين احداث
محزنة ومؤسسة حيث أنها ادت الى البطلة والانتقام
في صنوف الامة العربية . فقد هاد الشاميون من هذه
العرب الاهلية الى دمشق وانصرف المراقيون الى
العراق ولكن شتان بين رجوع اهل الشام وبين اهل
العراق عادا هايل الشام متفق الكلمة ورجع اهل العراق
وقد وقع الخلاف بينهم ودب الانقسام الى صوفهم
ولقد اقبلوا يتذمرون الطريق كله ويتشاركون
ويتضاربون بالسيوط مما ادى الى قيام حرب جديد
اطلق على نفسه (الخوارج) لم أصبحنا امام ثلاثة
احرار بعد ان كنا امام حربين اثنين . اولا حرب
الشيعة ، ثانيا حرب الامويين ،ثالثا حرب الخوارج ،
وأخذت هذه الاحرار الثلاثة في التظاهر بما ادى الى
اسعاف مقدرة القومية العربية ومنتها لصد المدواون
الداخلي الذي يقوم به الرتل الخامس فكان نزود
فرق الزنادقة من مجوسية ومزدكية يمتد في فسيح
البلاد الاسلامية للتكيد ونشر الفوضى تحت شمارات
وبرائع مختلفة الالوان حتى نمت الاحرار المدamaة على
حساب القومية العربية .

وكان الامويون قد جردو السيف لهذا الخطير
الداهن ولذلك تواترت الشكاوى على مثل والي العراق
زياد بن ابيه وخليفة العجاج بن يوسف الثقفي لأن
ولايتها كانت في قلب الفتنة (العراق) ولـ مهـبـ
ريـحـها فـلـمـ رـأـتـ الدـوـلـةـ الـاـمـوـيـةـ بـدـسـالـسـ الشـعـوبـيـةـ
الـعـاـكـرـةـ وـوـجـدـ الزـنـادـقـةـ وـالـاحـرـارـ الشـعـوبـيـةـ المـدـامـةـ
مـجـالـاـ وـاسـعـاـ لـبـتـ سـوـمـهـ وـهـدـمـ كـبـانـ التـوـمـيـةـ الـعـرـبـيـةـ
فـأـمـلـ السـيـفـ فـأـرـبـابـهاـ كـابـيـ مـسـلـ الـخـراسـانـيـ وـحـزـبـهـ

فيما حولها ، وقد اجتاحت دعوة القرامطة أنحاء البحرين والبصرة والاحساء وعمان والجزيرة ، وامتدت إلى سوريا والجهاز ، وبينما كان القرامطة يسيرون بأنفسهم إلى القناة من جراء المعارك الطاحنة كانت دعوة عبد الله بن ميمون السرية تجتاح بلاد اليمن وتبشر بقرب ظهور المهدى فانتشرت الدعوة بين القبائل بسرعة وأفاروا على من حولهم من القبائل بالسببي والنهب والقتل وأرسلوا أموالاً كثيرة إلى ولد ابن القذاح ثم انتقلت هذه الدعوة إلى أفريقية وانتشرت الدعوة في قبائل المغرب وفي مصر ثم ظهر حزب ثوري سري هدام وهو أخطر حزب مرفئ الإسلام ، وهذا الحزب هو (الطائفة الاسماعلية والباطنية) استمدت مبادئها من تعليم ميمون بن ديسان وولده عبد الله ومن القرامطة ولبثت هذه الطائفة مدة قرن ونصف قرن ارعبت خلالها الدول الإسلامية من فارس إلى الشام وحشدت جموع البسطاء من العامة باسم الدين لتحقيق الأغراض السياسية وامتدت في محاربة خصومها على الاغتيال الخفي المنظم بأكثر مما اعتمد على الحرب العلنية ، وكانت القومية الفارسية تعتمد على الدعوة الثورية هدفت بدورها المتعاقبة إلى تحطيم نير الدولة العباسية واسترجاع حريتها .

ولما ولى المعتصم الخليفة وكانت أمة تركية اهمل المنصور العرب والفارسي وأعتمد على الاتراك الذين خدمهم حرساً له وأسند إليهم مناصب الدولة كما فعل أخيه المأمون مع الغساسيبين . وكان المعتصم أول خليفة مبashi اعتنى باقتناء خلمان الاتراك فبعث إلى سمرقند وفرمانة لشراهم وبذل فيهم الأموال الطائلة والبسهم أنواع الدبياج ومناطق الذهب وكان خلمان الاتراك يتذلقون سنة بعد سنة على أسواق بغداد حتى كثر عددهم ولم يلبث مؤلام أن أسبحوا آلة على أهل بغداد الذين عانوا من عنفهم وجورهم شيئاً كثيراً .

وتحديثنا المصادر التاريخية إن المعتصم كان قد أقصى العرب عن مناصب الدولة العدنية وال العسكرية ومن ديوان العطاء واتاح بذلك الفرصة لفلمان الاتراك فزاد نفوذهم وأصبحوا خطراً على الخلفاء العباسيين وعلى الدولة العباسية . وقد أدى ظهور المنصور التركي إلى تزايد قوة هذا المنصر الدخيل على البلاد ودفع العرب وتفرقهم إلى قبائل ويطعون مما أدى إلى هجرة عدد كبير منهم من المدن والتقطيبات حيث نشروا الإقامة والعيش في الارياف والبسخاري تخلصاً منها

البطائع الى الانفصال عن حكومة المغول في بغداد ، والذ زعيم البطائع مشيخات وتحصنوا في قراصم المحاطة بالمياه وارداد نفوذ الشيوخ والزعماء الدين كانوا يسيطرون على البطائع ، وبعمر الرمان نشأت الاقطاعيات في العراق وأصبحت كل مشيخة مؤلبة من مدة قرئ يسكنها ابناء هشيرة واحدة مستقلة من المشيخات الاخرى ، واصبح شيخ القبيلة هو العاكم يأمره يدير شؤون مشيرته وفق التقليد والماديات الموروثة منقطعة عن العالم الخارجي يعيشون فيها على زراعة الارض والدخن بطريقة ابتدائية وتربية الماشية عراقة حفاة تفتك بهم الاوبئة والامراض العفنة ويستولى الجهل على عقولهم محروميين من كل وسائل الحياة ويقروا على هذه الحالة السيئة الى ما بعد فتح الدولة العثمانية للعراق على يد السلطان سليمان القانوني في سنة 941 هجرية (1543 ميلادية) وكان حكم الولاية العثمانية نافذا في المدن والقصبات ، اما القبائل التي كانت تقطن على ضفاف الانهار وفي البطائع من جنوب بغداد حتى الخليج العربي فانها كانت مع ولاة الدولة العثمانية في حروب وثورات دائمة مستمرة . ولقد حاولت الجيوش العثمانية مرارا اخضاعهم بارسال العملات العسكرية الواحدة تو الاخرى زهاء ثلاثة قرون متواصلة لم تتحقق الا بعض نصر موته ، اذ ما كانت تعود الحملة العسكرية الى قوامدها بعدحملة تاديب هارمة حتى يثور سكان البطائع مرة اخرى ويعلنوا عصيانهم ضد الدولة العثمانية هذا من جهة ، ومن جهة اخرى شرع ولاية بغداد يزروهن بين سكان البطائع روح الفرقنة والتباين فكانوا ينعمون على بعض الشيوخ والزعماء منهم بالالقب (الباشوية) ويفرقون عليهم المطاعيات من اراض واموال دون الآخرين ليث روح التنازع والحسد بينهم فيلجاون الى ضرب بعضهم بعضا .

وفي خلال هذه الحقبة الطويلة من تاريخ العراق ظلل سكان البطائع منقطعين - او يكادون - عن العالم الخارجي محروميين من كل وسائل التمدن الحديثة صحية كانت ام ثقافية ام اجتماعية محتفظين في الوقت نفسه بسجاياهم العربية الخالصة كالكرم والشجاعة والذكاء الفطري وسرعة الخاطر وقوة الملاحظة والسلطة الشعرية والاخذ بالشار وحماية الخارجي محروميين من كل وسائل التمدن الحديثة مستمر مع الدولة العثمانية وتنكر دالم لها حتى الحسر ظلها عن العراق على اثر احتلال الجيش البريطاني للعراق الناه عبد العالمة الاولى التي نشبت سنة 1914 .

رسمية الامر الذي ادى الى انقسام الشعب العراقي العربي الى طوائف متنازلة متنافرة ، ولا تزال روح الطائفية البغيضة تنخر جسم الشعب العراقي العربي المسلم الى يومنا هذا . وفي اوائل القرن الخامس الهجري ظهر منصر جديد من الشعوبين المترفة جاءوا من وسط آسيا متوجهين صوب العراق وهم الغز من الاتراك وعلى رأسهم القيصر السلاجوقى زحفوا الى بغداد واحتلوكها وأزالوا عنها آل بويه وأصبح آل سلاجوق هم المسيطرین على مقدرات الدولة العباسية وانتشر الغز في طول البلاد وعرضها يدمرون القرى والقصبات ويصادرون اموال الناس دابهم القتل والنهب وحرق القرى وسفك الدماء مما ادى الى خراب الالاف القرى في ارجاء العراق ، واستمر الحال على هذا المنوال حتى خرج سيل المغول العارف واجتاحت الدولة العباسية واذالها من الوجود ، وقد كان احتلال المغول للعراق في القرنين الثالث والرابع من الميلادي وسقوط الخلافة العباسية في بغداد الفربة القاسية على العراق ، وفي هذه الحقبة التاريخية التي مرت على العراق والتي استمرت عدة قرون كان الشعب العراقي العربي يتلقى ضربات متواتلة من الشعوبية المجرمة ولو ان اي شعب من شعوب العالم اصابه ما اصاب الشعب العراقي العربي المسلمين بالاسل المؤمن بربه الشعوبيون الناه سيطرتهم على مقدرات العراق لزال من حالم الوجود وأصبح في عداد الامم المندمرة ، ولكن الشعب العراقي العربي المسلمين بالاسل المؤمن بربه وقويمته صمد وقاوم مقاومة المستمبت في سبيل سون كيانه وعروبته . وقد وجد له عربنا يحتفي فيه ليصد الضربات الموجمة ضده من هذه الالاف المفترسة فاختار البطائع (الاهور) الواقعه في العراق قلعا يحتفي فيها ويتحصن باليه والسفن ضد السلطان البوبي وصارت تلك البطائع معاقل حنة والذ زعيم العرب مشيخات يتولى اداره كل مشيخة منها زعيم من العشيرة الناه سيطرة آل بويه ثم مدة حكم آل سلاجوق التركمانين الراحفين من اواسط آسيا (بلاد ما وراء النهر) .

ولما استعاد العباسيون بعض نفوذهم في بغداد رجع سكان البطائع الى طامة بنى العباس واحترموا النظام وأخذوا يؤدون الفراج الى ممال الخليفة العباسيين كما كان الامر من قدس الزمان وأرادادات الهجرة من المدن والقصبات الى البطائع مرة ثانية عندما اكتسحت جيوش المغول المدن العراقية تخلصا من القتل والنهب ، وماد سكان

الإِبَاعُ فِي الْعَرَبِيَّةِ

الدكتور محسن فضار

(جامعة القاهرة)

وطبيعي ان يلقى تلاميذهما منها هذه الامثلة، ويسمعوا وراء نظائرها ، ثم ينحوها تلاميذهم . ترد في كتب الإباع أسماء يونس بن حبيب والاصمعي وأبي زيد وأبي عبدة والكتانى وقطرن وابي عمرو الشيباني والفراء والاحمر واليزيدى وابن الامرائي ، وتشير المعاجم الى ما تعالج من امثاله ، منذ العين للخليل . بل الرد ابن دريد في جمهرته فصل للإباع (4) .

وبالرغم من ذلك ، اختالف العلماء في تصوّرهم للإباع نتيجة اختلافهم في الصفات التي اشتربوا توافرها في الإنفاق التي يمكن ادخالها فيه . وبحسن بنا - حين نرحب في تتبع هذه الشروط - أن نعالجها وفق التصنيف التالي :

1 - من حيث المعنى : ذهبـت جمـاعة من المـتقـدين إـلـى أـنـ النـفـقـ التـابـعـ لـأـعـنـ لهـ أـصـلاـ . وـأـقـدـمـ مـنـ وـصـلـتـ الـبـنـاـ مـنـهـ اـنـوـالـ تـدـهـبـ هـذـاـ الـدـهـبـ ابنـ الـأـمـرـائـيـ (231ـهـ) . قالـ تـلـبـ فـيـ اـمـالـيـهـ (5) : قالـ ابنـ

الإباع ظاهرة لغوية عامة لا تنفرد بها اللغة العربية ، بل تتبه من مرفق غير العربية من القدماء إلى وجودها في هذه اللغات ، فقال احمد بن فارس (1) : « وقد شاركت المجم العرب في هذا الباب » . ونستطيع نحن أن ندرج تحت « المجم » من نعرف لغته من الشعوب الأوربية مثل الانجليز والفرنسيين .

وفطن اللغويون منذ عهد مبكر إلى ظاهرة الإباع . فأورد أبو عمرو بن الصلاء رأس مدرسة البصرة أمثلة منها . جاء في كتاب أبي الطيب اللغوي (2) : « قال أبو عمرو : سمعت أمرانيا يقول لآخر : ألك تحسب الأرض ملي حبها ييمها ، يكسر أوله وقال أبو عمرو : يقال : رجل طب لب . وهو العالم ... » . وذكر أبو الطيب أيضا مثلا منه من رأس مدرسة الكوفة ، قال (3) : « حكى الحباني من ابن جعفر الرؤاسي أنه يقال للرجل : انه لمجنون مخنون ... » .

(1) الصاحبي 226 . الشعالي : فقه اللغة 566 . السيوطي : المهر 1 : 414 .
(2) الإباع 14 ، 77 .

(3) الإباع 39 .

(4) 429 - 3 .

(5) السيوطي : المهر 1 : 414 ، 416 . وانظر احمد بن ثارس : الصاحبي 226 ، والإباع 28 .

مكان عمير بجبر . فالعمير من العماره ، لم يسل
بمعنى معمول ، ويجب الاباع ..

ونجد امثلة اخرى للتابع فيها معنى معروف ،
غير انه لا يستعمل بصيغته هذه وبمعناه هذا مفرداً ،
بل لا بد ان يجعله مع اللفظ الذي يتبعه . ويمكن
ان نقسم هذه الامثلة الى قسمين : (ا) قسم يكون فيه
التابع مرادنا لللفظ المتبع . قال (11) : « ويقال يوم
مكبك اكبك ، ويوم عك الله : اذا كان شديد الحر .
والاكبك بمعنى المكبك ، الا انه لا يفرد . قال الراجز :

يوم مكبك يضر الجلسو
يترك حمران الرجال سودا
وليلة خاسدة فسودا
سوداء تخشى النجم والغرقودا

.. وانه لکثیر بشير .. والبشير من قوله : ما
بشر : اي كثیر . الا انه لا يقال : شيء بشير اي كثیر
الا على وجه الاباع .. ويقال : مائق دائم ، من
قولهم : رجل مدقوق : اي معمق والدوق العميق ،
وكذلك الموق . يقال : ماق الرجل يموق موئنا . قال
الراجز :

يا ايها الشيخ الكثیر الموق
ام بمن وضخ الطريق

ولا يتكلم بالدائق مفرداً . ويقال : انه ليعمق
موائمه ومذوقها ، وداق يدوق دوائة وذؤونها ايضاً .
(ب) والقسم الثاني لا يرادف فيه التابع متبوعه بل
يختلف معناهما ، غير انه لا يفرد ايضاً بصيغته
ومعناه المرادين في الاباع . قال (12) : « ويقال :
شحيح التابع : من قوله : اتبع بحمله يانع انوحاً : اذا
ترجر به من ثقله ، ولا يفرد الاباع .. ويقال انه
لشحيح بسيح ، وهو من البحة . ولكن لا يجوز
افراده .. تقول العرب : لا بارله الله ليه ولا تارله .
ولا يقولونه الا هكذا . فهو - وان كان ماخوذ من
الترك - فلا معنى له في هذا الموضع الا الاباع »

الامرائي : « سالت العرب : اي شيء معنى شيطان
لبيطان ؟ فقالوا : شيء تند به كلامنا » : نشد .
وتابعه الحسن بن بشر الامدي (371 هـ) الذي اعلن
(6) : التابع لا يفيد معنى اصلاً ، ولهذا قال ابن
درید : سالت لها حاتم عن معنى قوله : بسن ،
فقال : لا ادري ما هو . وسار وراءهما في هذا
الطريق ابن الدهان (7) الذي رأى ان التابع في
مبين معنى بنفسه من نفسه . ويؤكد هذا القول يكون
ما قاله نصر الدين الرازي ، وان سب كلامه على انكار
الترادف بين التابع والتتابع حين قال (8) : « ظن
بعض الناس ان التابع من قبل الترادف لتشبيه به ،
والحق الفرق بينهما ، فان الترادفين يفيدان فالدالة
واحدة من فهو تفاوت ، والتابع لا يفيد وحده شيئاً ،
بل شرط كونه مفينا تقدم الاول عليه » .

وخلفت جماعة اخرى من ذكرتهم ، ولم
يشترطوا عدم المعنى ، اذ رأوا ان التابع قد يكون له
معنى وقد لا يكون . ويتشتم الى هذه الجماعة ابو علي
القالي ، وابو الطيب الغوي ، وأحمد فارس ، وابن
برقي ، والناج السبكي . قال الاخير يرد على
الامدي (9) : « التحقيق ان التابع يفيد التقوية ،
فان العرب لا تضعه سدى . وجمل ابي حاتم بمعناه
لا يضر بل مقتضى قوله : انه لا يدري ، معناه ان له
معنى ، وهو لا يعرفه » .

وعندما نتتبع امثلة الاباع عند ابي الطيب
الغوي نخرج بصور مفصلة محددة . فناناً نجد عنده
امثلة لا معنى للتابع فيها ويمثلها اسم الاباع لأنها
الاصل فيه . قال (10) : « قال قطرب : يقال : بسلا
واسلا : اي حرام محروم . والبسيل هاهنا العرام ،
والاسل اباع . قال الشامر :

ایشت ما تلتس ، وتلفس زیادتسی
یدی - ان اسپفت هذه لكم - بسل

اي يعني التي اعطيتكم يدي بها حرام عليكم ..
وانه لکثیر بشير بدير بجبر : كله اباع .. ويقال :

(6) المهر 1 : 15، 4 . (7) المهر 1 : 424 . (8) المهر 1 : 415 . (9) المهر 1 : 416 . (10) المهر 13، 5 . (11) المهر 13، 8 . (12) المهر 13، 7 . (13) المهر 17، 28 .

وهو في معنى الآخر » . بل أكثر من ذلك أورد ما ليس باباً ، وما ليس من الكتاب . قال (19) : « ومن ذلك – وليس باباً – رجل أشقر افقي خبق: للطويل » . وقال (20) : وذرق الطائر وزرق وزرق وخلق ، وليس من الباب » .

يبين لنا هذا أن كتاب ابن فارس يضم خليطاً من العبارات ، حار فيها المؤلف نفسه ، واعطاها اسماء متعددة وادخلها في كتابه ، وهو يؤمن أن بعضها على الأقل لا يتصل بموضوع الكتاب . ولا يقف الأمر عند هذا بل نجد الصورة المبعثة المختلطة نفسها فيما سماه بـ«التابع» . إذ نستنتج من بعض آفواهه أن التابع لا معنى له . قال (21) : « يقولون: هو ملبع قزيع ، وهذا تابع . وقد يكون من افراح القدر وهي الانحاء ... يقال جائع نالع . الكسالي: هو تابع . ويقال : هو العطشان .. أبو زيد : هو تافه نافه : أي حقير ، كلما قاله في التابع . وقد يمكن أن يقال : اشتاقه من نفثت نفسه ، أي ابعت وكانت » .

ونستنتج من بعضها الآخر أن التابع له معنى معروف ، ولا يهم أن يكون هذا المعنى مرادفاً لمعنى التبوع أو مختلفاً عنه . قال مثلاً (22) : «اللحياني: ما عنده على أصحابه تعريج ولا تعويج : أي افامة وفلان لا يغير ولا يمكر ، يقال للميرية الفيرة أيضا .. ويقال ذهب حبره وسفره . العبر والسفر: الجمال والبهاء » . وقال (23) : تقول العرب: انه لسائب لافب . فالسائب : الجائع . واللافب: المعين الكال ... ويقولون : خب ضب . فالضب : البخيل المسك . والغب : من الغب ... وما عنده

ولا يعطيها كتاب أحمد بن فارس مثل هذه الصورة الواضحة . ولعل سبب ذلك أنه لم يفرد هذه للتابع . بل جعله – كما يبين من متواته – « للتابع والمزاوجة » . وقد يتضادر إلى الدفن إن المؤلف يدعهما شيئاً واحداً . ولكن ذلك غير صحيح، فهو يعلن في السطر الأول من كتابه (13) : « هذا كتاب الاباع والمزاوجة ، وكلاهما ... » فيفرق بينهما، كذلك يورد في داخل الكتاب من التعليقات ما يؤكد هذه التفرقة . قال (14) : « قال الأصمي: رجل خياب بباب . قال : خياب : من خاب ، وبباب تزويج ، وهو يصلح أن يكون اباما » .

ولم يقتصر المؤلف على المزاوجة . بل أورد في كتابه أمثلة قليلة مما سماه «الاسجاع» و«الامثال». على الرغم أنه أهل في آخر الكتاب أنه خصم لها كتاباً . قال (15) : « وسترى ما جاء في كلامهم في الأمثال ، وما أشبه الأمثال من حكمهم على السجع ، في كتاب «امثلة الاسجاع» ، ان شاء الله تعالى ». وعلى الرغم أنه يعترف أن الاسجاع ليست من صنف الكتاب ، قال (16) : « ومن الاسجاع . وليس من هذا الباب : قول صالح الدابة : برئت إليك من الجحاح والرصاح » .

وأورد ما سماه تأليفاً للكلام ، وتأكيداً ، دون أن يبين ماذا يقصد من ذلك ، وما صله بالتابع ، قال (17) : « وما يراد به تأليف الكلام قولهم : ارب فلان ، والب ، فهو مرب وملب : اذا اقام ». وقال (18) : « لا اعمله سجين مجييس : يريدون الدهر . الاصمعي : لا آتيك سجين مجييس : اي الدهر ، وسجينه : آخره ، ومنه قيل للماء القدر : سجين ، لأن آخر ما يبقى . والمجيس تأكيد ،

-
- | | | | |
|----------------|----------------|---------------------|---------------------|
| • 49 . (18) | • 30 . (17) | • 43 ، 37 (16) | • 70 (15) |
| • 52 ، 29 (23) | • 42 ، 34 (22) | • 68 ، 54 ، 35 (21) | • 29 (14) • 28 (13) |
| • 60 (19) | • 61 (20) | | |

واحدة منه الشعالي حين قال (30) : « الابياع : ان تبيع الكلمة على وزنها او روتها اشباحاً وتوكيداً » . فاذا كان اتحاد الروي غير لازم ، والاتحاد الوزن غير محتم ، ثان الابياع لا يخلو منها مما ..

3 - من حيث التعبير : اجمع الذين تعرضوا للابياع ان اللفظ التابع لا ينفصل عن المتبع ، سواء كان له معنى او لم يكن ، ولا يجيء في التعبير منفرداً مطلقاً . وانخد ابو الطيب من انفراد الكلمة الثانية المقياس الذي اعتمد عليه في الفعل بين الابياع والتوكييد . فما لم ينفرد فيه اللفظان سماه ابها . وما انفرد فيه اللفظ الثاني سماه توكيداً . ولكن ابن فارس اقر لى مرة واحدة وجود ابیاع ينفرد . قال (31) : « ويقال : خراب بباب . وقد يفرد الباب . قال عمر بن ابي ربيعة :

كست الرياح جديدها من تربها
دققاً وأصبحت العراض بباب

نها ابیاع الا انه افرده » . اما ابو الطيب فقد تخلص من هذا المأرث بان جعل امثاله في التوكيد (32) ..

واشترط الكسائي وابو عبيد وابن بري الا يعطى الابياع باداة . قال ابو عبيد في فريب الحديث (33) : « قال الكسائي .. واما حديث ادم عليه السلام : انه استحرم حين قتل ابنه ، فمكث مائة سنة لا يضحك . ثم قيل له : حياك الله وبياك . قال وما بيالك ؟ قيل : اضحكك . ثان بعض الناس يقولون في بيالك : انه ابیاع . وهو منشي - ملئ ما جاء تعبيره في الحديث - انه ليس بابیاع . وذلك ان الابياع لا يكاد يكون بالواو ، وهذا بالواو ، ومن ذلك قول العباس في زمزم : هي لشارب حل

نبض ولا نبض : اي كثير ولا قليل . ويقال : الامطاء والمنع » .

2 - من حيث الصورة : اقدم من تناول هذا الجانب صراحة ابو علي القالي ، الذي بطن الى اتحاد الحرف الاخير في التابع والمتبع ، او ما سمي بعد ذلك اتحاد الروي . قال من العرب (24) : « مدحهم في الابياع ان تكون اواخر الكلم على لفظ واحد مثل القوافي والسعج » .

ولكن ابو الطيب وابن فارس رؤيا ابها لم يلتزم الروي الواحد . قال ابو الطيب (25) : « يقال في الدباء على الرجل : جوها وجودا وجوسا . فالجود هو الجوع بعينه . وقولهم جوسا ابیاع » . وقد نبه ابن فارس على هذه الظاهرة الشاذة متى اورد « وجدوا وجوسا » . ودفعه هذا الى عدم اشتراط الروي الواحد ..

وفطن ابن فارس ايضاً الى ان اكثر الابياع يتماثل التابع والمتبع فيه في الوزن وان كان ذلك ليس بالشرط الواجب . فقد اورد في الابياع (27) : « يقولون : وهو لك ابداً سرداً سرداً .. واكثر ابو الطيب من امثلة الابياع غير المتماثل الوزن . مثل (28) : « يقال : لا دريت ولا البت . مقصور اوله ويقال : جوها دقوما ، اذا دعسي على الانسان ، ويسكب الرجل فيقال : دفعما دفعما شفنتما . وفعلت ذلك على رفمه ودفعه وشفنته » . ولذلك يتحقق لنا ان نقول ان تاج الدين السبكي اخطأ حين قال (29) : « فالتابع من شرطه ان يكون على زنة المتبع » .

ويؤكد لنا هذا ان احسن تعريف يتنظر الى هذا الجانب للابياع هو ما جاء به احمد بن فارس ،

(24) الامالي 2 : 217 .
(25) المزمر 1 : 416 .
(26) الاصحبي 226 . فقه اللغة 566 .
(27) (31) (32) (33) (30) .

ووافقهما ابن الدهان ، وجمل الابياع من قبل التوكيد اللغظي ، واتى بالصلل التي تدمع رأيه . قال السيوطي (40) : « قال ابن الدهان في الفرة في باب التوكيد : منه قسم يسمى الابياع نحو مطشان نتشان ، وهو داخل في حكم التوكيد عند الاكثر . والدليل على ذلك كونه توكيدا لا اول غير مبين معنى بنفسه من نفسه ، كاكتبع وابصع مع اجمع .. والذى هندي ان هذه الالفاظ تدخل في باب التوكيد بالتكرار ، نحو رأيت زيدا زيدا ، ورأيت رجالا رجالا . وانما غير منها حرف واحد لما يجيئون في اكثر كلامهم بالتكرار .. »

واعلن السيوطي (41) وجود قوم يفرغون بين الابياع والتوكيد . واعتمادهم في هذه التفرقة على امررين : اولهما ان الفاظ الابياع تختلف عن اكتبع لانها تجري على المترنة والنكرة ، على حين لا تجري اكتبع الا على المعرنة ، ولأنها غير مفتقرة الى توكيدها قبلها بخلاف اكتبع . والثاني ان الابياع مالم يحسن فيه او المطف . والتأكيد تحسن فيه الواء .

ويتفق مع هؤلاء تاج الدين السبكي الذي قال (42) : «الفرق بينه وبين التاكيد ان التاكيد يفيد مع التقوية نفي احتمال المجاز . وايضا فالتابع من شرطه ان يكون على زنة المتبع والتاكيد لا يكون كذلك »

ونستطيع ان نضم اليهم ابا الطيب اللغوي لانه جمل الواء التي ادخلتها في كتابه صفين : الصنف الاول سماه الابياع ، وهو ما لا يتفرد لفظه به ابدا . وسمى الثاني التوكيد ، وهو ما يمكن ان يستقل لفظه الثاني بنفسه . وبرغم ذلك لم يكشف لنا ابو الطيب الغرض من الابياع . ولمله تعرض لذلك في الجرة المقود من مقدمته .

اما احمد بن فارس فرأى ان الابياع لا يقصد الى التاكيد وحده ، بل البه والى ما سماه الاشباع

وبيل . فيقال : انه ايضا اباع وليس هو مندي كذلك لمكان الواء » .

وجاء في لسان العرب تعليقا على قوله : جوما ونوها (34) : « قال (ابن بري) : وال الصحيح ان هذا ليس اباما لأن الابياع لا يكون بحرف المطف ، والآخر ان له معنى في نفسه ينطبق به مفردا غير تابع » .

ولكن ابا الطيب اللغوي (35) رفض هذا الرأي ، ورد عليه ردآ حسنا ، معتمدا على مسلك العرب في تعبيرهم . فقد رآهم يقولون : هذا جائع نابع ، للدل على انه اباع . ورآهم يقولون في المعاه على الانسان : جوما ونوها ، فادخلوا الواء . فلو اعتمدنا عليه قلتنا انه ليس اباما . ومحال ان تكون الكلمة الواحدة مرة اباما ومرة غير اباع . انن ليس الاعتبار بوجود الواء او عدمها .

ونستعين من دراسة امثلة الابياع انه ليس من المحتم ان يتألف من لفظين فقط ، بل قد يتألف من ثلاثة ليقال (36) : انه لحسن بسن قسن . ولعله خطأ بظا كظا : وانه لقبع شقيق لقبع . ويبدو انه تالف احيانا من اكثر . قال ابو الطيب (37) : « يقال في الكثرة : انه لكثير نمير بشير بدبر هغير ، وعمر ايضا » .

4 - من حيث الفرض : اول من تعرض للفرض من الابياع الكسالي ، واعلن انه يراد منه التوكيد قال (38) : « انما سمي اباما لأن الكلمة الثانية انيما هي تابعة لل الاولى على وجه التوكيد لها » . ويؤكد لنا صحة هذا القول الجواب الذي تلقاه ابن الامرabi من العرب حيث سالمهم من معنى شيطان ليطان .

وانفق ابو علي القتالي (39) مع الكسالي . غير انه يقصر التوكيد على نوع واحد من الابياع ، ذلك الذي يكون فيه اللفظ التابع بمعنى المتبع .

(34) مادة نسوع . (35) ابو الطيب 71 ، 72 ، 76 ، 77 ، 96 ، 99 . (36) ابو الطيب 3 . (37) المهر 62 . (38) المهر 1 : 415 . (39) الامالي 2 : 208 . (40) المهر 1 : 424 .

(41) المهر 1 : 424 - 25 . (42) المهر 1 : 416 .

وهو نوعان :

- 1 - نوع يجيء التابع فيه بلفظ واحد بعد المتبوع ، فهو حسن بسن ، وحار بار .
- 2 - نوع يجيء فيه لفظان بعد المتبوع ، نحو حسن بسن قسن ، ويكثر ان تكون الكلمة التابعة مبدومة بميم نحو صفر مقر ، وشلر مدر .
(ب) واما ان يكون التابع متصلا بالمتبوع وله معنٍ : ولا يجيء مفردا كما هو في القسم نحو مطشان نشان .

2) الاباع الفعلى :

- 1 - والافعال في هذه القسم الثاني قد تكون ظاهرة وبلفظ واحد نحو ميس ويسر .
- 2 - وقد تكون مقدرة كالمصادر التي قدرت افعالها نحو قبحة له وشقها ..

وند يجيء الاباع الفعلى بلغظتين تابعين نحو : لا بارك الله في الشعوب ولا تارك ولا دارك ..
والحق ان الاباع ظاهرة لفوية ، واسعة النطاق متعددة الاشكال ، كثيرة الاسباب والغايات . و يجب ان ننظر اليها في ضوء من اشكالها الاخرى لتحسين رؤيتها ، ونشنم تصورها ..

فاللغة عرفت الوانا اخرى من الاباع ربما لا ترد على الخاطر في هذه الدراسة ولكن ذلك واجب ، لأنها ذات صلة بما نتحدث عنه الان .

فقد اجرى العرب - وغير العرب - الوانا من الاباع . فطن اليها اللغويون وال نحويون والصرفيون ، ودرسواها ، ولكنهم لم يربطوا بينها وبين ما بين ايدينا الان من اباع . ونحن حين ننظر في هذه الالوان نستطيع للتسهير ان نصنفها في فئتين : الفئة الاولى . جرت في المفردات الفوية ، والثانية في المركبات .

اما المفردات فقد خضعت لتوسيع من الاباع : نوع جرى في حركاتها وآخر في حروفها .. وكلتا التوسيعين يضم المطرد من الاباع وغير المطرد .

دون ان يحده ، كما نستبين في قوله الذى اوردته سابقا .

ويؤدي بنا هذا الى ان العلماء لم يتفقوا على تصور واحد للاباع ، وان بعضهم اعطاه صفات حرمه بعض الآخر اياها . وكانت الشرة الطبيعية لهذا ان اختفت الاقسام التي وضعوها له . واقدم ما بين يدي من اقسام ما اقطع به ابو علي القالي : وكشف منه في قوله (43) « الاباع على ضربين : فضرب يكون فيه الثاني بمعنى الاول .

فيؤدى به توكيدا ، لأن لفظه مختلف للفظ الاول .

وضرب فيه معنى الثاني غير معنى الاول » .

ويؤخذ على هذا التقسيم انه اهل ما لا معنى له من الاباع : وهو الاصل . وصورة التابع . وقد نظر احمد بن فارس الى هذا التقسيم واراد ان يتجنبه . فجاء بتصنيفين لا واحد ، نظر في الاول منهما الى صورة التابع ، وفي الثاني الى معناه . قال (44) : « هذا كتاب الاباع والمراوجة . وكلاهما على وجيهين :

احدهما ان تكون كلمتان متوايتان على روى واحد .

والوجه الآخر ان يختلف الروبيان .

ثم تكون بعد ذلك على وجيهين :

احدهما : ان تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف ، الا انها كالاباع لما قبلها .

والآخر : ان تكون الكلمة الثانية غير واضحة المعنى ولا بنية الاشتغال » .

ويمكن ان نأخذ على هذا التقسيم اپسا انه اهل الوزن .

وأشمل تقسيم للاباع هو الذي قام به الاستاذ عمر الدين التوكхи ، وقال فيه : « ان الاباع يكسون في الاسماء وفي الافعال :

1) الاباع الاستمن قسمان :

ا) اما ان يكون التابع متصلة بالمتبوع وبمعناه ، او ليس له معنٍ ؛ ثم لا يجيء مفردا .

(43) الامالسي 2 : 208 .

(44) 28 .

وأقصد بالاتباع في حروف المفردات ما يجري
فيها حين تُخضع لابدال أو ادغام . فالقياس المطرد
في نون انفعال من الافتتاح المبدوءة بعim جواز قلب
نونها مبما متّابعة لميم الفعل ثم ادغام الميمين معاً .
فتقىول امحي في انمحى . والقياس المطرد في تاء
انفعال من الافعال التي تأوزها دال او ذال او طاء او ظاء
او ثاء او ساد او سين او زاي او ضاد جواز قلب التاء
الي حرف مثايل للفاء ابضاها لها ثم ادغام الحرفين
فتقىول ادان واذذكر واظلم ..

وانما تجري اللغة ذلك لتجمل للحرفين الدين
كانا مختلفين مخرجا واحدا ، فتيسر على الناطق ان
ينطق بما ، كما حدث في الالوان السابقة من اتباع
المركمات .

كذلك تخضع المركبات لالوان مشابهة من
الاتباع ، اطrod منها ما كان في الفعل الضمف حين
يلتقي بساكن آخر ، فقد كان الاتباع احد المسالك
التي سار فيها العرب للتخلص من النقاء الساكنين .
فقالوا : شد العبل ، ومز ، ومض ، باتباع لام الفعل
للغاله . كذلك لجأ بعضهم الى الاتباع للتخلص من
النقاء الساكنين في ميم الجمع ، فقالوا : عليهم الذلة .
كتراة ابي عمرو ، وعليهم القتال كثراة حمزة باتباع
الميم لحركة ما قبلها .

ومن الالوان غير المطردة في التخلص من الساكنين القراءات الشاذة (قم اليسل) و (قد استهزيء) و (قالت اخرج) باباع العرف الساكن الاول لحركة العرف الذي بعد الساكن الثاني ..

وَمِنْ فِيْرِ الْمُطَرَّدِ اِيْضًا قِرَاءَةً (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) يَا تَبَاعَ الْيَمِّ لِلْعَادِ بِعِدَّهَا .

والقصد بهذه الاجراءات ما قصد بما جرى في المفردات : التخفيف القائم على تمثيل العمل الذي تقوم به أجهزة النطق .

وتحضع المركبات لاتباع يجري في العروف
ابضا، أشهر أمثلته ما جاء في الحديث البشوي :
« ارجعن مازورات غير ماجورات » ؛ فغير موزورات
الوزر) حولت الى مازورات اتباماً لماجورات .

ومثاله ايضاً الحديث النبوى فى مدارب القبر :
« لا دربت ولا تلقيت ولا اهتديت » فابدل واو (تلوت)
ياء اباما ليائى الفطين قبله وبعده .

اما الاباع المطرد في حركات المفردات فيتمثل في عدة ابواب نحوية وصرفية .

فالقياس في جمع المؤنث السالم من الالفاظ
الثلاثية السائنة الوسط ان تتبع مينها فادها . فما
كان على فعلة جمع على فعلات مثل ثمرة وثمرات ،
وما كان على فعلة جمع على فعلات مثل حجرة
وحجرات الا اذا كانت الكلمة معتلة العين او اللام .
او كان المتكلمون من بني هذيل او تهيم . فلهم احكام
آخرى .

والقياس في الفعل الماضي عند بنائه للمفعول :
 ان كان مبدوءاً بناء زائدة ان يضم حرفة الثاني ابىاما
 لا قوله مثل استخرج المعدن . والقياس في فعل الامر
 الماخوذ فعل يفعل ان تضم همزة الوصل فيه ابىاما
 لفظة عينه ..

والقياس عند بني تميم فيما كان على فعل
العلقي العين من الأفعال كشهده ، والاسماء كفخد ،
والصفات كمحك ؛ وما كان على نعيل العلقي العين
ايضاً كسعيد ورفيف ، القياس عندهم فيهما اتباع
الناء للعين فيقولون شهد وفخد ورفيف .

وقال ميسى بن مهر : ان كل (فعل) كان ،
فمن العرب من يخلفه ، ومنهم من يثقله نحو مصر
ومصر ، ويسر ويسر بالسكن والضم .

وأن كان مين (فعل) المفتوح الغاء حلقيا ساكنا
جاز تعريكه بالفتح ، نحو الشعر والشعر والبحر
والبحر ، (بالسكون والفتح) ، ومد ذلك ابهاعا لفتحة
الغاء .

واما الإياع غير المطرد في حركات المفردات
فأمثل له بقولهم : المغيرة ، البعوا اليم للغين ،
ومتنن : أبعوا اليم للناء ، وابنوله : أبعوا اليم
للهمرة ، ومنذ : أبعوا اليم للذال عند من قال : ان
أصلها : من ذو ، وفيها .

كل هذه الالوان من الابياع : المطرد وغير المطرد،
انما ارتكتبها العربية لتبسر على التكلم النطق . بدلًا
ان تقوم اجهزة النطق بعملين مختلفين في موضعين
متقاربين مما قد يتطلب من الناطق جهداً او وعياً،
كفتح اللغة مؤونة ذلك بازالة الاختلاف وجعل الملمين
مشابهين . واذن فالغرض من الابياع في مثل هذه
الاحوال تيسير النطق وجعله عفويًا .

وأترب الأمثلة على ما يشابه هذه الظاهرة ما يكون في باب الندب والاستفهام . فالقاعدة في المندوب أن يفتح آخره ثم يشبع الصوت به حتى تتولد الف مثل قوله : وازيداء ، فإن لم يمكن ذلك خوف اللبس أشبت الكسرة فتولد ياء مثل وأفلامكية أو الضمة فتولد واوا مثل وأفلامبوه . فالمندوب يتنبئ بصوت مماثل لصواته النهائية دلالة على التفعع .

وإذا رأيك شيء في كلام فاستفهمت منه متكررا له ، جئت بزيادة في آخر الكلام دلالة على ذلك . فإن كان ما قبله مفتوحا ، كانت الزيادة الفاء . وإن كان مكسورة ، كانت الزيادة ياء . وإن كان مرفوعا ، كانت الزيادة واوا . وإن كان ساكنا ، حركه لثلا يلتقي ساكنان . لأن هذه الزيادات مدادات ، والمدادات سواكن فتحررها بالكسر كما يحرك الساكن إذا لقيه الإلف واللام الساكن . فإذا قال الرجل : رأيت زيدا . قلت : أزیدنيه . فإن قال : رأيت مثمنا . قلت امثمناه ؟ لثلا يلتقي ساكنان . ويقول : قدم زيد . فتقسول : أزیدنيه . فإن قال : رأيت مثمنا . قلت امثمناه ؟ فإن قال : أتاني عمر . قلت : امروه ؟ نهله الزيادة المماثلة للصوت المختومة الكلمة به دليل على ما يعتمل بنفسه من انكار .

وإذن فقد كانت الزيادة في باب الندب دلالة على التفعع ، والزيادة هنا رمزا إلى الانكار ، وكانت الزيادة في الباءين مماثلة للحركة التي تنتهي بها الكلمة التي تلحق الزيادة بها . وإذن فمقدمة الزيادة دلالة على الحالة النسبية التي يعيش فيها المتكلم حين تفوته بها ..

والنتيجة الطبيعية لهذا أن اللغة العربية تلجم إلى اتباع كلمة ما بصوت مماثل لنهائتها دلالة على ما يفتح في وجдан المتكلم من مشامر . وعلى ضوء من هذا نقول إنما الاتباع ومز على حالة شعورية خاصة تملك قوله : قد تكون اعجابة في مثل حسن بن ، وقد تكون لفظها في الدباء ... لا يفسر .. فمهما اختلف الشعور . فالاتباع رمل له ..

والآيات التي أشارتها اللغة في أمثال الندب والاستفهام الانكاري مهمة ، لم تتحدد شكلا ، ولم تكتسب معنى ، بل يقتضي على حالتها الأولى ، مجرد رمز مهم . ولقد وقف كثير من آيات الاتباع بهذه هذه المرحلة ولم يتعدوها إلى مجال الوضوح . نادر

ومثاله أيضا قوله : أني لابه بالغدايا وبالعشابا . فجمعوا العشبة على المشابهة متابعة للغدايا .

كذلك تنوين المونع من الصرف في قوله تعالى : (سلاسلا وأفلالا) ، نونت سلاسل متابعة لافلال .

ويمكن أن نجعل منه زيادة (إل) في (زيزيد) في قول ابن ميادة :

وجدنا الوليد بن الزيزيد مبارك
شديدا باحناء الخلافة كامله
فربما فعل ذلك أيامه للوليد .

إذا نظرنا إلى هذه الأنواع من الاتباع لم نجد المقصود منها التخفيف ، كما كان الحال في الأنواع الأولى ، وأيما المقصود المشاكلة الصوتية : أعني أن يكون لكل من اللقطين زنين متماثل ، فيقع في الأذن مدببا ، وفي الوجدان حلوا . غالباً هما الجمال الصوتي ، الشبيه بما نجد في السجع ، والثانوية والجناس .

ونخرج من هذا بان الاتباع في مجاله الأكبر يمنع الناطق خفة وسهولة ، وفي مجاله الأصغر يمنع الساعي شعوراً جمالياً .

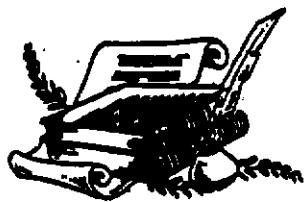
إذا انتقلنا إلى ما درستنا من الاتباع وجدناه يستفيد قليلاً من المجال الأكبر ، وكثير من العمل الصوتي .

ونحن حين نمعن النظر في أسلوب الاتباع نجد أنه يشبه أساليب أخرى تعرفها اللغة . فهو في أصله صوت لفوي يتبعه صوت آخر مماثل له ، أو أن شيئاً الدقة التامة قلنا : صوت لفوي يتبعه صوت آخر مماثل له ، أو أن شيئاً الدقة التامة قلنا : صوت لفوي يتبعه صوت آخر مماثل لآخر الصوت الأول . فهما صوتان متماثلان في ختامهما ، وفي أكثر الأحيان في التسطط الأكبر من بنيتهم . فإذا ما انقا في حرف واحد ، وجدناها يتفرقان في حرف آخر غير أنهما اختلقا في موضعه ، فجعله أحدهما أولاً والثاني وسطا ، مثل تبديل شقيق ، وسلبيخ مسيخ ..

ابضا من التمايز الصوتي بين التابع والتبوع ، لأن المستمع غير المتبه يظن أنه سمع اللفظ الواحد مرتبين . تدريراً و توكيداً ..

وصفة القول أن الاتباع ظاهرة لغوية جمالية : تدل على ما يعيشه المتكلم من انفعال . و تمنع المستمع منة فنية . ويجب أن تدرس مع منيلاتها من المظاهر اللغوية التي لا يقعد المتحدث فيها إلى الاخبار المجرد . ويرمى معه إلى المشاركة الوجدانية ..

العلماء انه لا معنى له . و حاروا في بعضه اذ حاولوا ان يلصقوا له معنى ما . ولكن بعض هذه الاصوات تهدى هذه المرحلة . و اكتسب معنى مستقلأ . وببعضها الآخر احد من الفاظ معروفة المعنى . صلحت من حيث اصولها لأن تكون انباءا . ولا شك ان امثال هذا النوع اكتسبت من الاتصال المعنوي بين التابع والتبوع توكيدا لل فكرة التي تعبر عنها . ولا شك - عندي - ان النوع الاول . المكون من تابع منهم . اكتسب توكيدا



مشكلات اللغة والمصطلحات

I

الدكتور يوسف الخوري

رئيس قسم الجيولوجيا
(جامعة دمشق)

القرن الخامس عشر . اذ ركبت كلبا وبيت على هذا الحال الى ان حل النصف الثاني من هذا القرن المתרين . فعمت بوادر الاهتمام بالعلوم واحبائهما الشرق العربي بكمه وبشكل لم يعرف التاريخ له مثيلا منذ انتهاء العصر الذهبي . وذلك ان نشوب ثورة علمية جارفة اتسعت البلدان العربية التي نالت استقلالها السياسي بعد معارك ضارية قدمت فيها عددا غيرا من ابنائها على مذبح التضحية والشهادة، مددمت استقلالها السياسي بنشر العلم والثقافة وخلقت المعاهد والجامعات وامادت للعلماء والباحثين اعتبارهم التقليدي باذلة لهم الجوائز ومشجعة اياهم على التأليف والاقتباس والترجمة . واصبح العلم من جديد جزءا رئيسيا من كيانها وحياتها .

ان هذه الثورة العلمية التي نجعها تضع امامنا مشكلات جديدة تتصل بكونية تدريس هذه المعلوم وتقليلها للجبل الصاعد الذي يتلتف العلم على مقامه التدريسي في الجامعات المحدثة في جميع البلدان النامية التي نالت استقلالا مؤخرا ، وفي جامعات البلدان التي لا تزال ترزح تحت نير الاستثمار والاستغلال بجميع وجوهه وشكاله .

لقد هاجر الدكتور بشير الظمة موضوع هذه المشكلات في مقالة (اللغة والعلوم) الذي نشره في المد

يشيت الواقع التاريخي ، ان الامة العربية تأسى في طليعة الامم التي كانت تنشر العلم والمعرفة على البشرية جماء . وذلك عندما توطنت لها دعائه الملك فاستغلت امكاناتها ووجهت اهتمامها في بادئه الامر لنقل العلوم الافريقية والفارسية واليونانية والهنودية والسريانية اى اللغة العربية ومن ثم خرجت على البشرية باحدث النظريات التي كانت تسبق المفاهيم القليلة السائدة في ذلك الوقت . والتي تتناقض اليوم مع احدث المعطيات العلمية المعترضة بقا علميا يطبع معرضا هذا بطابع العلم والاختراع . ولنا في مؤلفات البرونزي وابن الهيثم وابن سينا وغيرهم من علماء مصر لهم اكبر دليل على رقي المفاهيم العلمية في ذلك العصر . الذي يعتبر بحق العصر الاسلامي الذهبي، والذي يمتد من القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن الخامس . ولقد انصفت المشرق الاميركي « ايربيون » البرونزي حين قال : ان ابة فاتحة تحوي اسماء اكابر العلماء يجب ان يكون فيها لاسم البرونزي مكانه الرابع . ومن المستحيل ان يكتفى اي بحث في الرياضيات او الفلك او الجغرافيا او التاريخ او علم الانسان او علم المعادن دون الاقرار بمساهمة البرونزي العظيمة في كل علم من تلك العلوم .

غير ان العلوم في الاذوار التي تلت هذه كانت تندىدب بين انحطاط او ارتخاء ونهضة او يقطة ، حتى نهاية

نذفها جبل النار فجمدت على جوانبه واسفله ومن استمارها الابطاليون فقالوا *Lava* والفرنسيون *Lave*

وكلمة المرقشينا وهي ثرب من كبريت الحديد فقد ذكرها ابن البيطار وكثيرون غيره من ارباب علم المعدن وقالوا انها *البوريس* *Pyrite blanche* او حجر النار وقد اقتبس الفرنسيون منها *المرقشينا* فسموها *Macossite* ونحن اقتبسناها من الارامين فما منهم يسمونها *مرقشينا* او *كيفامقشينا* ومنتها الحجر الصلب او الصلد . تحذف العرب اياها، واقحموا راه بين الميم والتاف تعريضا عن المحدود فصارت كما نرى طلا للخفة في اللفظ (١)

ان امثال هذه المصطلحات العلمية التي اخذها عن الغرب كثيرة ، فالطلق والسفير وغيرها مستعملة لدى الغربيين ويسمون بها *Talc* *Saphir* *Azur* وبراد بالاولى الودرة والثانية حجر كريم ، وكذلك اخذوا عن الازورد لفظة *Azur* للدلالة على لون السماء اذ ان المراد بالازورد حجر كريم مشهور بحسن لونه الازرق السماوي .

على ان العرب من ناحيتهم لم يتعسروا في الاقتباس عن ميرهم في عهودهم السابقة ولا سيما في مهد المبابسين . فقد دونوا كل ما وضمه العلماء القدموس من يونان وفروس وروماني وفروا في معظم العلوم وجاءت تأليفهم من احسن ما كتب والذى ناق الجميع هو بلا شك ابو الريحان البيروني ، الذي بعد من اعظم علماء الاسلام . فقد كتب معظم مؤلفاته باللغة العربية وشارك في اغلب العلوم والفنون والمنائع حتى قيل فيه « انه في التاريخ مؤرخ محقق مدقق ، واسع الاطلاع ، وفي الجيولوجيا . جيولوجي ممتاز بشهادة الجيولوجيين الماصرين » . وفي الفلك تلكي ممتاز بشهادة الفلكيين الماصرين ، وفي الرياضيات رياضي ممتاز بشهادة اساتذة الرياضيات الماصرين » ، والكلمات العربية كثيرة في لغتنا العربية تستعمل بطلاقة وتشمل جميع التروع من آداب وعلوم ، فالياقوت مثلاً كلمة معربة من اليونانية وهي *Hyakinthos* والمفناطيس معربة من اليونانية ايضاً *Magnes* والرطل هو معرب لطرا *Litra* الرومية الماخوذة من مثلها في اليونانية وقد دخلتا القلب في العربية ، وقد اجاد

(٤٧) من مجلة « المعرفة » العادرة في دمشق بشهر كانون الثاني ١٩٦٦ . فاتى على جميع اباءه القومية والفنية، مثبتاً ان موضوع استعمال اداة التغام الوطنية في المجال العلمي بدبيبة لا بلغ درجة الشك وخلص الى ضرورة توحيد لغتنا العلمية من اجل مصلحة المروبة ومصلحة الاسنانية جمعاء . ثم تلاه عدد من الجامعيين من اطباء وعلميين فقاموا بمعالجة هذا الموضوع الخطير . وقد ايد معظمهم الدكتور العظمى من النواحي القومية والوطنية وعالجوا بعدها المشكلات التي تعرّض ابجاد المصطلحات العلمية في بداية الامر بشكل يقبل به جميع الباحثين في الانطارات العربية . معتمدین على تجاربهم الشخصية في الجامعات العربية التي درسوا فيها ومبينين ان ما يناسب للمصطلحات المعول بما حالياً من اخطاء يعود الى نقص في التنظيم لا الى فشل بالتعليم باللغة العربية نفسها التي تعتبر بحق من اقدر اللغات على الاداء والنعبير والتحت والتصريف.

ولقد عنيت في هذا المقال ان ادللي بدلوي في هذا المجال الواسع الارجاء . مستعينا بالتجارب التي مرت على منذ تأسيس قسم الجيولوجيا في الجامعة السورية بدمشق ، كنت ادرس هذه المادة باللغة الفرنسية في البداية ثم انتقلت بعدها الى تدریسها وبجميع تفرعاتها باللغة العربية القومية مستعينا بالمصطلحات العربية والمحونة . فقد وجدت تجاوباً كبيراً من قبل الطلاب في تلوين هذه المادة باللغة العربية وتفهمها لم امهد له من قبل حين كنت اعطيها باللغة الفرنسية . وكان يعطيها زميل لي باللغة الانكليزية . وقد وقفت بنفسى خلال تجربتي هذه على فتن المصطلحات العربية الواسع في التعبير من الواسع الجيولوجية التي سبق للقادمين ان عالجوها باللغة العربية البدعة ، اذ انهم كانوا ولا شك واقفين على اسرارها . وامتدت جازماً ان مصطلحات ابناء الائمة الاخري الحبة والمعروفة في مصرنا لا تجاريها ، وقد اخذوا بقسم كبير منها . ولنا في الامثلة التالية خير دليل على صحة ما ذكرت : فاللابة ونرد بها المهل المنصرمة هي عربية اخذها هنا الغربيون فاستعملوا كلمة *Lava* يقول ابا انسناس ماري الكلمي البغدادي في تعلقه لكتاب : *نخب الدخائر في احوال الجواهر* تأليف السنحارى المعروف باسم الakanani : « مندي ان اصل اللابة للحرة « اللابة » لغة في « اللابة » لأنها كانت في الاصل جواهر ذاتية

(١) كتاب الدخائر في احوال الجواهر .

عمله في رأي خطوة جريئة شاملة في سبيل تعریب المصطلحات العلمية في كل قطر عربی ، اذ انه تقدم باقتراحات موضوعية في هذا المجال كان تثنا نی كل قطر عربی شعبية وطنية تكون صلة وصل بينها وبين المكتب الدائم للتعمیر تشمل اختصاصاته توحید المصطلحات في جميع الأقطار العربية وجعلها الرامية .

ولابد لي في النهاية من التنبیه بضرورة القان لغة أجنبية حية الى جانب اللغة العربية ، ولاسيما في المرحلة الانتقالية التي نجنازها ، والتي يتوقف عليها مستقبل الامة العربية جمماه ، فمعكبتنا العربية ما زالت مفتقرة الى كثير من الكتب العلمية باللغة العربية وان انتصار الطلبة على هذا التذر البسیر من الكتب العلمية العربية لا يمكن لا زواه عطشهم الى الاسترادة من هذه العلوم بقیة اللھاق برکب الحضارة العلمی الذي هو هدفنا بالدرجة الاولى ، وان القان لغة أجنبية يساعد كثيرا على وضع المصطلحات بأحسن صيغة تكون بذلك قد اندنا انفسنا وافنينا مكتباتنا وجامعاتنا بالصطلاحات العلمية التي نحن باشد الحاجة اليها .

ولابد لي من توجیه كلمة شكر وامتنان للقائمين على مجلة المعرفة التي سبقت وفتحت هذا الباب للمناشة . خدمة للعلم والعلماء في وطننا بوجه خاص وللإنسانية والمعرفة بوجه عام . مؤملا عدم الاكتفاء بما نشر في هذا الموضوع . ومتباينة المؤسسات الختمة هذا الموضوع للوصول الى مقررات توفر موضع التنفيذ وتخدم لفتنا العربية الغالبة علينا وجامعتنا وثقافتنا ، الخدمة التي نتوق اليها ونتمناها .

(ببع)

العرب ايضا في النحت فتحتها كلمة المازنی و هو نوع من الباقوت يقول النیافاشی في اصلها : «سالت بعض شایخ الجوهرین في سبب تسمیة هذا النوع بهذا الاسم فقال : ان هذا الحجر شديد الشبه بجید الباقوت ، فإذا قوم بدون قيمة الباقوت ، كانه يقول بلسان حال جودته : « ماذنی » حتى اقسم بدون قيمة الباقوت » فالكلمة كما نرى اذن منحوتة من ما الاستفهامية وذنب مضافة الى المتكلم (2) . والكلمة Hyacinthe وهي ضرب من البنفس الذي يدعوه الغرب وفي رأي انه يمكن لنا وقد زادت المصطلحات الفنية في يومنا هذا زيادة تتناسب مع متطلبات العلوم الحديثة والاحترازات التي اصبحت لا تقع تحت حصر ، ان نأخذ من هذه المصطلحات بالترجم والتخت اخذ منها ملمازنا في السابق . ونمارس التدريس بلغتنا القومية في جميع المجالات العلمية حتى نجاري الام التي سبقتنا في هذا الفضمار ، مبينين بذلك ان لغة الفضاد هي لغة سخنة سخنة تعجیل العلوم والمخترعات ، فهي لغة علوم بالدرجة الاولى كما انها لغة أداب وفلسفة وفنون ، فيمكننا اذا ما اتفقنا على وضع بعض الاسس في تعریب المصطلحات ان نصل الى الغایة المنشودة .

لقد سبق لكل من الاتحاد العربي المغربي في مؤتمر الثالث ومؤتمر التعریب في المملكة المغربية (3) ان وفنا بعض التوصيات المتعلقة بالخططة العلمية المثلث في تحقيق التعریب بوجه عام وفي تعریب المصطلحات العلمية بوجه خاص . وقد اخذت الجامعة العربية بعض هذه التوصییات . اذ انها اشات المكتب الدائم للتعریب في المملكة المغربية ويعتبر

(2) كتاب الدخائر في احوال العوامر .

(3) راجع المدد الرابع من «اللسان العربي».

حَرْفُ الْجِيمِ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالظَّفَرِ

الأَمْنَازُ مُحْبُوبُ الْجِيمِ

جامعة درهام - بريطانيا

لقد سببت هذه التنويعات في اللفظ مشاكل شتى في اللغة العربية أخص منها مسألة الجيم كحرف من العروض القراءية، إذ كثيراً ما يعنون البعض من إبناء البلاد العربية وخصوصاً في العراق وسوريا إلى لفظ الجيم كصوت شمسي أي بادهش لام المعرفة في الجيم منه وقوفها في أول الكلمة فيقولون أجمل بدلاً من الجمل . ولا تقتصر هذه المشكلة على الصعوبات التي يلاقيها مدرسون اللغة العربية في تلك الأقطار بل تتمدأها إلى أحوال يرتكب فيها بعض الخطباء والمدعين هذه الأخطاء فيتعريضون بذلك إلى التشكيك من النقد واللوم . على أن هذا الميل للغزو الجيم كصوت شمسي لا يبعد أن يكون ميلاً طبيعياً تتطلب السهولة في اللفظ والجمال في النطق ، وهذا يدفعنا لكي نضع استفهاماً كبيراً عن سبب إبقاء الجيم بين العروض القراءية دون الأخذ بالاعتبارات الأخرى التي تحبط بهذه المسألة .

يشغل حرف الجيم مكاناً فريداً بين الحروف الأخرى بتنوع طرق لفظه في اللهجات العربية إلى درجة لا يكاد يطاهيه فيها أي حرف آخر ، فهو في الشام رخوا قريب إلى الشين لما فيه من تعطيش بالغ وهو في العراق أكثر شدة (1) ، فيه الرثى ثقيل من التعطيش أما في القاهرة فإنه يلفظ شديداً مجهوراً (2) على غرار ما يسميه البعض بالجيم القاهرة ، بينما نجده قد صار دالاً في بعض مناطق الصعيد المصري وباه منه بعض قبائل الكويت ، وجنوب العراق .

ومما يجدر ملاحظته أن هذه الظاهرة تشتمل العرفيين J و G في اللغات الأوروبية وما نظيرها الجيم في العربية . إذ إن الـ J يلفظ ياه في الألمانية وخاه في الإسبانية ، وهو في الانجليزية كالجيم المعرفة وفي الفرنسية كالجيم الشامية . كما أن الـ G يلفظ أحبانا في الإنكليزية والفرنسية كالجيم القاهرة بينما يتخذ في أحبان آخر اشكالاً كالتى أسلفنا ذكرها .

(1) الصوت الشديد هو الصوت الانفجاري الذي يحدث بانحباس الهواء عند مخرج الصوت انحباس تاماً ثم انطلاقه فجأة عند افتتاح المخرج كالباء والثاء ، ومكنته الصوت الرخو .

(2) الصوت المجهور هو الصوت الذي يستوجب منه اهتزاز الوترتين الصوتين الثاء مرور الهواء بهما كالدال والفباء ، ومكنته الصوت المهووس .

ان الجيم التي نسمها الان من مجیدي القراءة هي اقرب الجميع الى الجيم الاصلية، ان لم تكن هي نفسها »⁽⁵⁾ . واقلب الفتن ان المعسود هنا بالجيم الاصلية هي تلك التي كان ينطق بها ابام الخليل وسيبويه اذ ان من الصعب افتراض جيم اصلية لم يسبقها تطور في اية مرحلة من مراحل التاريخ . ومهمما يكن من امر فان الارجع ان الدكتور ابراهيم انيس كان متفاوتاً في استنتاجه وانما في الواقع لا نزال بعيدين عن التوصل الى صورة اكيدة للطريقة التي كان ينطق بها حرف الجيم التي وصفها سيبويه قريبة من التي نسمها الان من مجیدي القراءة القراءية لوصفها ، كما وصف العين ، بانها بين الشدة والرخاوة ولما ابقاها بين الحروف الشديدة ، بل ان الجيم وردت كعنود للحروف الشديدة في الامثلة التي جاءت في المفصل للزمخشري اشراح ابن عبيشا . وحتى في القرن التاسع الهجري نجد ان ابن الجوزي يعتبر الجيم من بين حروف التلقلة ⁽⁶⁾ وهي الحروف الشديدة المحبورة . وانا لا استبعد ان يكون تطور الجيم نحو شيء من الرخاوة نوماً من الحرس للبقاء على جهراً وهي بهذا تختلف مما هو أكثر شيوعاً وهو البقاء على الشدة والتتطور من الجهر نحو المنس .

وهناك دلائل تشير الى ان وضع الجيم لم يكن على درجة كبيرة من الاستقرار منذ تلك الابام وان هناك ميلاً للانحراف بمخرج الجيم الى مخارج فريبة سيبويه يكشف ذلك بقوله »... و تكون الثين واربعين حرفنا بحروف غير منسخة ولا كثيرة في لغة من ترتضي عريبتنه ولا تستحسن في قراءة القراءان ولا في الشعر وهي الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كاكاف والجيم التي كالثين والصاد الشعفية »⁽⁷⁾ كما نجد ان ابن الجوزي بعد ذلك بعده قررنا ينصح بالتحفظ باخراج الجيم من مخرجها » فربما خرجت من دون مخرجها فيتشير بها اللسان فتصير ممزوجة بالثين كما يفعله كثير من اهل الشام ومصر وربما نجا بها اللسان فاخراجها ممزوجة بالكاف كما يفعله بعض الناس وهذا

يقول سيبويه » ولا المعرفة تدغم في ثلاثة عشر حرفاً لا يجوز معهن الا الادفام لكثرة لام المعرفة في الكلام وكثرة موافقتها لهذه المعرفة واللام من طرف اللسان وهذه المعرفة احد عشر حرفاً منها حروف طرف اللسان وحرفان يغالطان طرف اللسان ... والحادي عشر حرفاً التون والراء والدال والثاء والصاد والطاء والزاي والسين والظاء والثاء والدال واللدان خالطاها الصاد والشين » ⁽³⁾ . وبغض النظر من السبب الذي جعل سيبويه لا يذكر اللام نفسها بين هذه المعرفة الا ان المعرفة الباقية وهي التي اصطلاح على تسميتها بالمعرفة القمرية لا تدغم فيها لام المعرفة ويجمعها فولك اينج حجل وخف قيمه .

واود في معرض هذا الحديث ان اؤكد الفرق بين حالي المعرف المشار اليه هنا ، الاول كرم مكتوب تحفظه الكتب من التبيير عبر المصور والثانية كلغط مسموع تم يكن هناك من وسيلة لحفظه قبل ظهور اجهزة تسجيل الصوت الحديثة . فالخلط بين الرموز واللغط امر يجب تجنب الوقوع فيه في حكمنا على الجيم وفيها في وقتنا الحاضر ، اذ على الرغم من ورود الجيم كحرف قمري منه بهذه اهتمام العرب بعلم الاصوات الا اننا لا نزال في متادين من الطريقة التي كان يلفظ بها هذا الحرف عند قدماء العرب ، فقد جاء من الخليل بن احمد الفراهيدي في كتاب العين ان الجيم والشين والصاد شجورية لأن مبداهما من شجر الفم اي مفرج الفم ⁽⁴⁾ ، اما سيبويه فقد كان اكثر تصفيلاً الذي بخبرنا ان من وسط اللسان يenne وبين وسط الحنك الاعلى مخرج الجيم والشين والباء ، كما انه وصف الجيم بانها من الحروف الشديدة المحبورة ، بهذه الاوصاف رغم اعطائهما فكرة جيدة عن طريقة لفظ هذا الحرف في ابام الخليل وسيبويه الا انها غير كافية لتدلنا على اللغو بحدانيره .

وقد كانت هناك اكبر من محاولة من قبل المتندين بعلم الاصوات في وقتنا الحاضر لاستنتاج الطريقة التي كان ينطق بها هذا الحرف عند قدماء العرب نجد الدكتور ابراهيم انيس يقول » ويظهر

(3) الكتاب، الجزء الثاني صفحة 416

(4) العين صفحة 2

(5) الاصوات اللغوية صفحة 65

(6) «النشر في القراءات المشر» الجزء الاول صفحة 203

(7) الكتاب الجزء الثاني صفحة 404

ادغام لام التعريف في المعرفة التسمية يتم بالدرجة الأولى نتيجة الافتضاد في الجهد المضلي . وهو امر سلم به منه القدم كما يعبر عنه سببوبه بقوله « ليكون عمل اللسان من وجه واحد » . فالعرف التسمية كلها امور ذات مخارج لسانية قريبة من مخرج اللام وهذا يسبب تأثر الصوتين بالمحاورة وبالتالي ادغام لام التعريف وفناها في العرف التسمية الذي يليها . بينما لو استمر فنا الحروف القمرية لوجدنا ان اللسان لا يستعمل الا في نطق ثلاثة منها وهذه بعيدة عن مخرج اللام على اي حال ، اما الجيمان النامية والمرائية للبرهنة على انهمما يتبعيان الى مجموعة الامور التسمية البك اختبارا بسيطا :

ضع لسانك في الوضع الطبيعي للفظ صوت اللام وابق لسانك في هذا الوضع ولكن بدلا من لفظ اللام فقط عبارة ابغ حجت وخف مقبه . وهي العبارة التي تجمع الحروف القمرية كما اسلفنا . ستجد انك تستطع لفظ العبارة كلها بوضوح فيما مدا الجيم اذا كانت شامية او مرائية .

ان هذا الاختبار على يسارته يربنا كيف ان عمل اللسان في لفظ اللام يكون « من وجه واحد » مع الجيمين وبذلك كان ادغام لام التعريف بهما متينا . وبصورة عامة فان هذا الاختبار يعطينا طريقة مباشرة لتقدير اهلية الصوت اللغوي لادغام لام التعريف به اي للحكم على كون الصوت شميا او قرمريا .

وبناء على كل ما نقدم فانني لا ارى اي مبرر للأصرار على ابقاء الجيمين النامية والمرائية في ضمن الامور القمرية وقد حان الوقت لكانة الذين يعادفهم هذه المشكلة ان ينقلوا الامر على اساس من النطق . اما الذين يستشهدون بسببوبه ذكر لهم انه ائما كان يتحدث عن رمز معين لا دليل لنا اليوم كيف كان يلقطه ، واتي على يقين انه لو كان سببوبه اليوم جيما يتنا لوضع الجيمين النامية والمرائية مع الواني « لا يجوز معهن الا الادغام » .

موجود كثيرا في بوادي اليمن ⁽⁸⁾ . على ان ابن الجوزي لم يكن بنفسه والقا من مخرج الجيم الحقيقي حيث يقول « للجيم والشين المعجمة والباء غير المدية من وسط اللسان بينه وبين الحنك ويقال ان الجيم قبلهما وتال المهدوي ان الشين تلي الكاف والجيم والباء يليان الشين وهذه هي المعرفة الشجرية » ⁽⁹⁾ . وعلى كل حال فان ابن الجوزي يختلف هنا عن بعض اسلامه من امثال ابي علي القالي المولود في اواخر القرن الثالث الهجري والذي اعتبر ان مخرج الجيم يلي مخرج الفاء .

ان ما سبق يشير الى ان ثمة تطورا ما قد ساهم بظهور الجيم طوال هذه المدة وان الجيم التي وصلتنا تختلف بكل اشكالها الحالية من نظيرتها لدى الخليل فلا مجال ان نجد الدكتور مهدي المخومي يخبرنا في كتابه عن الخليل بان المحدثين يخالفون الخليل وسيبوبه بالنسبة لخارج الحروف الشجرية اذ هم يعدون مخرج الباء والجيم من بين مقدم اللسان وستق الحنك الصلب والشين من بين اسفل اللسان او ما يليها وبين حافة الاسنان . وانا استبعد جدا ان يكون اختلاف الخليل وسيبوبه من جيلنا مثبا عن خطأ منهما وما هذا الاختلاف الا نتيجة حتمية لتطور الجيم ودليله كافيا على انتها زلنا بعيدين من جيم القرن الثاني الهجري .

وها نحن اليوم ننطق بجم مرائية ، وهي قريبة جدا لاسمها من مجيدي القراءة القراءية ، وآخرى فاهرية وثالثة شامية ورابعة تطلق باء الغ .. الحدرات الينا كلها بهذه التسميات بفعل عوامل معينة لا تبعد ار تكون هي نفسها التي سببت تشبع نظيرات الجيم في اللغات الاوربية . الا ان المهم في هذا البحث هو موضوع ادغام لام التعريف في الجيمين اللذين اسميتهمما بالشامية والمرائية نظرا لان الملايين من الناطقين بالعربية يستعملونهما كل يوم . وعندهم تكون الجيم شمية اذا تكلموا بها بصورة عادية وتكون قرمية اذا تكلموا اللفظ واستعملوا الفصاحة نزولا من قانون سن منذ التي هشر قرنا خلت فتغيرت الجيم وبقى القانون .

8، النشر في القراءات المشر ، الجزء الاول صفحة 217 .

9، المصدر السابق من 200 .

أثر اللسان العربي في اللغة الإسبانية الأستاذ سامي المختار الطوبري (دمشق)

الأستاذ سامي المختار الطوبري (دمشق)

وأطلق عليهم اسم : « المجنون » Mudéjares وتولد من بقائهم فجديد في الهندسة والصناعة اليدوية سمى : المجنون Mudéjar لذا لا نستطيع أن نقول بأن الأثر العربي في إسبانيا قد زال بزوال سلطانهم عليهما .

وقبل أن تحدث عن السر الموريكوس والمجنون في اللغة الإسبانية في مختلف بقاع الاندلس لأبد لنا من التحدث عن طبقة « المستعربين » Mozárabes وهم أبناء البلاد الذين تأثروا بالثقافة العربية والحضارة الإسلامية أيام الحكم العرب في إسبانيا . لقد حافظ هؤلاء على معتقداتهم الدينية غير أنهم تعلموا العربية وتبشرها في حياتهم وكانت يتكلمون كذلك لغة بلادهم الأصلية المشتقة من الآيوبية والتي كانت تعرف باسم الرومانية وهي نواة اللغة الإسبانية . فالحكم العربي في الاندلس توطدت دعائمه التي حكم الفيزروطيين Romane ، وهي نواة اللغة الإسبانية . فالحكم العربي في الاندلس توطدت دعائمه التي حكم الفيزروطيين Moriscos وهم قوم من الجerman احتلوا إسبانيا في القرن الخامس الميلادي فادميين من إيطاليا وفرنسا وبنوا لغة الرومان الدارجة فيها ودخلوا إلى تلك اللغة الآيوبية الشعبية بعض تعبيرهم وأسمائهم ومفرداتهم ، ولكن حصيلة ما قدموه لغة إسبانية لا تقارن بما قدمه العرب إليها من

لا ريب في أن أثر اللسان العربي في اللغة الإسبانية من أهم آثارنا في إسبانيا وأكثرها خلودا ، كما أنه دليل قاطع على أن الحضارة العربية الإسلامية وجدت في الاندلس الأرض الخصبة لازدهار اغراضها . فإذا تجلت تلك الحضارة في الملومن والفنون والأداب ، في الهندسة والتجارة والزراعة والصناعة ، ومنحتنا تراثا عريبا اندلساً أفادت منه الإنسانية ، فلقد كان اللسان العربي خير أداة للتعمير من تلك الحضارة خلال سمعة قرون تقويا . فالعرب عاشوا في الاندلس ثمانية قرون إلا قليلاً أيام حكمهم لها ، منذ دخول طارق بن زياد إلى شبه الجزيرة الإيبيرية سنة 711 م حتى خروج آخر ملوك بني الأحرmer من غرناطة سنة 1492 م ; ولكن من الثابت أن الأثر العربي في بعض مناطقها قد استمر حتى مطلع القرن السابع عشر ، وذلك لأن نصف مليون هربي اختاروا البقاء في إسبانيا بعد أن استرجموها ملوكها لشدة تعليمهم بها وبإرشادها جيلاً بعد جيل . وقد هرب هؤلاء باسم موريسكوس Moriscos وظلوا يتكلمون العربية وبكتبونها حتى تم الدمج بعضهم بالإسبان نهائياً لغة وديناً ، في حين هاجر البعض الآخر إلى الشمال الأفريقي . فالموريسكوس هم العرب الذين تذمراً بعد أن استرجعوا ملوك الإسبان بلادهم من المسلمين العرب ، أما الذين لم يتذمراً واتّروا البقاء في الاندلس فقد اضطروا للموانقة على التربية للملوك الكاثوليك